المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه، أرسله بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده وعبد ربه حتى أتاه اليقين من ربه صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد : فهذه الدراسة الأولى من سلسلة «دراسات في مباحث توحيد الأسماء والصفات» وهي بعنوان:

«معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات» .

وسيتبعها –بإذن الله– الدراسات التالية:

الدراسة الثانية : «**معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**».

الدراسة الثالثة : «**معتقد أهل السنة والجماعة في صفات الله العلى**».

الدراسة الرابعة: «**قواعد أهل السنة والجماعة في نصوص الأسماء والصفات**».

الدراسة الخامسة: «**مقالة التعطيل وموقف أهل السنة والجماعة منها**».

الدراسة السادسة : «**مقالة التشبيه وموقف أهل السنة والجماعة منها**».

ومقصودي من اصدار هذه السلسلة خدمة الجوانب التالية:

١ – بيان معتقد أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته بشكل يجمع بين الشمولية والتعمق، وذلك من خلال توضيح المسائل الكلية العامة أولاً، ثم بحث القضايا التفصيلية والمباحث الجزئية للمسائل الكبرى المتعلقة بهذا الباب، فقد خصصت الدراسة الأولى لعرض المسائل العامة التي تبرز وتوضح معتقد أهل السنة والجماعة بشكل عام، ثم خصصت لكل مسألة بعد ذلك دراسة مستقلة

تستوفي المواضيع والقضايا التي تتصل بها.

٢ - جمع شتات المسائل المتعلقة بهذا الباب، وهي مسائل متناثرة ومتفرقة في ثنايا كتب أهل السنة، وقد بذلت جهدي وطاقتي في جمعها وترتيبها وتبويبها وإخراجها في نسق تنتظم معه تلك المسائل، ليسهل بعد ذلك معرفتها والاطلاع عليها.

٣ - بيان فساد مقالات أهل الزيغ والضلال الذين خرجوا عن الحق في هذا الباب، وذلك ليعلم وجه بطلان معتقداتهم ومدى انحرافهم وضلالهم، حتى يحذر المسلم من الوقوع في ذلك.

هذا وقد ضمنت الدراسة الأولى الفصول التالية:

الفصل الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات وعلاقته بباقي أنواع التوحيد.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثاني : العلاقة بين أنواع التوحيد.

الفصل الثاني : معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالسلف الصالح وبأهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني : معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

المبحث الثالث : الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

وختمت ذلك بخاتمة وذيلتها بفهارس.

وإني لا أدعي أني وصلت بهذه الدراسة الى درجة الكمال، ولكن حسبي أني اجتهدت فإن وفقت فذلك بفضل من الله وحده، وإن حصل تقصير أو خطأ فهذا من طبيعة جهد البشر، فأرجو ممن وقف على شيء في هذه الدراسة أن يبادرني النصيحة، وأسأل الله عز وجل أن يتقبل مني هذا الجهد وأن يجعله عملاً صالحاً ولوجهه خالصاً، وأن لا يجعل لأحد فيه شيئاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد بن خليفة التميمي

المدينة النبوية في ١٦/٦/١٤١٤هـ

* * *



معتقد أهل السنة والجماعة فى أسماء الله الحسنى و صفاته العلى

وفيه تمهيد وفصلان :

التمهيد : في بيان أهمية توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الاول : تعريف توحيد الأسماء والصفات وعلاقته بباقى أنواع التوحيد.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: العلاقة بين أنواع التوحيد.

الفصل الثانى : معتقد أهل السنة والجماعة فى أسماء الله وصفاته

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالسلف الصالح وبأهل السنة والجماعة.

المبحث الثانى : معتقد أهل السنة فى أسماء الله وصفاته.

المبحث الثالث : الأسس التى قام عليها معتقدهم فى أسماء الله وصفاته.

التمهيد

أهمية توحيد الأسماء والصفات

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الموصوف بصفات الجلال، المنعوت بنعوت الكمال.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه وحجته على عباده صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

وبعـــــــد :

فإن من المفيد والمهم لطالب الحق قبل أن يشرع فى دراسة تفاصيل جوانب توحيد الأسماء والصفات أن يكون لديه معرفة بأهمية هذا التوحيد وما له من قيمة ومنزلة ودور فى جانب الاعتقاد على وجه الخصوص وفى سائر جوانب الدين على وجه العموم، فإيجاد هذا التصور المفيد فى فكر المسلم عما لهذا التوحيد من مكانة عالية ودرجة رفيعة سيعود بإذن الله تعالى عليه بالنفع فى إيمانه بالله عز وجل، فيولى هذا الجانب القدر الواجب له من الأهمية، كما يزيد ه ذلك رغبة فى التفقه فى مسائله ومباحثه وتفريعاته، والتي لا يستغنى عنها طالب العلم الراغب في التزود من العلم النافع المفيد.

وإن مما يؤسف له أن البعض ينظر الى هذا التوحيد نظرة المقلل من أهميته وشأنه، فيظن أن مباحث هذا الباب لا تتجاوز ذكر الأقوال المختلفة والمتباينة فى القدر الذى يثبت أو لا يثبت من أسماء الله وصفاته وأن الأمر لا يعدو ذلك ولا يخرج عنه ، ومثل هذه النظرة وهذا القول لايصدر إلا عن أحد شخصين إما جاهل لا يدرى مافى هذا الباب من مسائل مفيدة وعلى درجة من الأهمية لا غنى للمسلم عنها وعن معرفتها.

وإما عن شخص منحرف فى عقيدته يظن أن حال هذا الباب لا يخرج عن الحال الذى عليه عند أهل الباطل الذين لم يستضيؤوا فى هذا الباب ولا فى غيره بنور الكتاب والسنة وبالتالى لم يتجاوز حديثهم فى هذا الباب حدود الطعن فى أسماء الله وصفاته والتشكيك فيها أو فى أكثرها، فصدوا بذلك عن معرفتها فضلاً عن بيان مالها من دور ومكانة فى عقيدة المسلم وإيمانه بربه تبارك وتعالى

فإرشادا لطالب الحق، وتعليماً للجاهل الغافل، ودعوة للمخالف المنحرف، ومذاكرة للعالم أسطر هذه الكلمات التى تشير الى بعض ما فى هذا االتوحيد من فوائد ومزايا عسى الله أن ينفع بها من يطلع عليها ويستذكرها.

فأقول وبالله التوفيق ومنه أستمد العون والتسديد ملخصاً ما أود بيانه فى النقاط التالية :

أولا : هذا التوحيد شطر باب الايمان بالله تعالى :

لا يخفى على المسلم أهمية الإيمان بالله، فهو أول أركان الايمان، بل هو أعظمها فما بقية الأركان الا تبع له وفرع عنه، وهو أهم ماخلق له الخلق وأرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب وأسست عليه الملة. فالايمان بالله هو أساس كل خير ومصدر كل هداية وسبب كل فلاح ذلك لأن الانسان لما كان مخلوقاً مربوباً عاد فى علمه وعمله إلى خالقه وباريه فبه يهتدى وله يعمل واليه يصير، فلا غنى له عنه، وإنصرافه إلى غيره هو عين هلاكه وفساده، والإنسان له بالله عن كل شيء عوض، وليس لكل شيء عن الله عوض، فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتى خلق من أجلها، فماسوى ذلك إما فضل نافع، أو فضول غير نافعة أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الايمان بالله وعبادته فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يعلم من تتبع دعوات الرسل فى القران:

وملاك السعادة والنجاة والفوز يكون بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما يقوم الايمان بالله تعالى. وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسولهﷺ، وإليه دعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أولهم إلى آخرهم.

وأحدهما: التوحيد العلمى الخبري الاعتقادى المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

والتوحيد الثانى: عبادته وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به رباً وإلهاً ووليا، وأن لا يجعل له عدلاً فى شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين في سورتي الإخلاص وهما سورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1] المتضمنة للتوحيد العملى الإرادى.

وسورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[2] المتضمنة للتوحيد العلمى الخبرى.

فسورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فيها بيان مايجب لله تعالى من صفات الكمال وبيان مايحب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال.

وسورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبرى من عبادة كل ماسواه.

ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر، ولهذا كان النبى ﷺ يقرأ بهاتين

---

(١) الآية ١ من سورة الكافرون.

(٢) الآية ١ من سورة الإخلاص.

السورتين في سنة الفجر والمغرب والوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته، ليكون مبدأ النهار توحيداً وخاتمته توحيداً.[1]

فالتوحيد المطلوب من العبد شطره هو توحيد الأسماء والصفات

ثانيا: توحيد الأسماء والصفات أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق:

إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها.

ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذى لا إله إلا هو رب العالمين وقيوم السموات والأراضين الملك الحق المبين الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله

فلا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات.[2]

فإن قيل : فالعلم إنما هو وسيلة إلى العمل ومراد له، والعمل هو الغاية،

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة الجهمية ص٣٥ – ٣٦ .

(٢) مفتاح دار السعادة ١/٨٦ .

ومعلوم أن الغاية أشرف من الوسيلة، فكيف تفضل الوسائل على غاياتها؟.

قيل: كل من العلم والعمل ينقسم إلى قسمين منه مايكون وسيلة، ومنه مايكون غاية، فليس العلم كله وسيلة مرادة لغيرها، فإن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم على الاطلاق وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته قال الله تعالى :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾(1) فقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض ونزل الأمر بينهن ليعلم عباده أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة وقال تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(2) فالعلم بوحدانيته تعالى وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده بل لا بد معه من عبادته وحده لا شريك له، فهما أمران مطلوبان لأنفسهما:

الأمر الأول: أن يعرف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه.

والأمر الثاني: أن يعبد بموجبها ومقتضاها.

---

(1) الآية ١٢ من سورة الطلاق .

(2) الآية ١٩ من سورة محمد .

فكما أن عبادته مطلوبه مرادة لذاتهـا، فكذلك العلم به ومعرفته أيضاً، فإن العلم من أفضل العبادات.[1]

ثالثا: توحيد الأسماء والصفات هو أصل العلوم الدينية :

كـما أن الـعلم بأسـماء الله وصـفـاته وأفـعاله أجـل العلوم وأشـرفهـا وأعظمها فهو أصلها كلهـا، فكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه؛ فـالعلم به أصل كل علم ومنشئه، فـمن عرف الله عرف مـاسواه، ومن جهل ربه فـهو لما سواه أجهل قـال تعالى﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[2] فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنى شريفاً عظيماً، وهو: أن من نسي ربه أنساه ذاته ونفسه فلم يعرف حقـيقتة ولا مصالحه، بل نسي مابه صـلاحه وفلاحـه في معاشـه ومعاده ، لأنه خـرج عن فطرته التي خلق عليها فنسي ربه فأنساه نفسه وصـفاتها وماتكمل به وتزكو به وتسعد به في معاشها ومعادها قال تعالى﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[3] فغفل عن ذكـر ربه فانفرط عليه أمـره وقلبه، فلا إلتـفات له إلى مـصالحه وكـماله ومـا تزكو به نفـسه وقلبـه؛ بل هو مشـتت

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٧٨ .

(٢) الآية ١٩ من سورة الحشر.

(٣) الآية ٢٨ من سورة الكهف

القلب مضيعه، مفرط الأمر حيران لا يهتدى سبيلاً.

فالعلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته[1]

رابعا: معرفة أسماء الله و صفاته أصل عظيم في منهج السلف:

معرفة أسماء الله وصفاته هي الأساس الذى ينبنى عليه عمل العبد ومن خلالها تتحدد العلاقة التي تربط العبد بربه، وعلى ضوئها يعبد المسلم ربه ويتقرب إليه.

ولذلك كان أصل علم السلف وعملهم هو:

١- العلم بالله.

٢- والعمل لله.

فجمعوا بذلك بين التصديق العلمي والعمل الحبى

(١) مفتاح دار السعادة ١/٨٦

ثم إن تصديقهم عن علم، وعملهم وحبهم عن علم، فسلموا بذلك من آفات منحرفة المتكلمة والمتصوفة.

فالكلاميون: غالب نظرهم وقولهم فى الثبوت والانتفاء والوجود والعدم والقضايا التصديقية، فغايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر.

والصوفيون: غالب طلبهم وعملهم فى المحبة والبغضة والإرادة والكراهة والحركات العملية، فغايتهم المحبة والانقياد والعمل والإرادة.

وكلاً من المنحرفين له مفسدتان:

إحداهما: القول بلا علم إن كان متكلماً.

والعمل بلا علم إن كان متصوفاً.

وهو ماوقع من البدع الكلامية والعملية المخالفة للكتاب والسنة.

والمفسدة الثانية : فوت المتكلم العمل

وفوت المتصوف القول والكلام.

أما السلف وأتباعهم فقد حققوا كلا الأمرين.

من القول التصديقي المعتمد على معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة فى الكتاب والسنة.

والعمل الإرادى وذلك باتباع الأوامر واجتناب النواهى وفق ماشرعه

الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

ولذلك كان كلامهم وعملهم باطناً وظاهراً بعلم وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقــروناً بالآخر وهؤلاء هم المسلمون حقاً.[1]

فـالسلف وأتباعـهم جعلـوا من توحيـد الأسـمـاء والصفـات إحـدى الركـيزتين التي قـام عليهـا منهجـهم المعتمـد على نصوص الكتـاب والسنة وذلك لما لهذا التـوحيد من أهمـية ومنزلة وهذا ماتشـهد له كثـرة النصوص الشرعية الواردة في هذا الشأن.

خامسا: العلم بأسماء الله و صفاته يفتح للعبد باب معرفة الله:

إن محبة الـشيء فرع عن الشعور به، فأعرف الخلق بالله أشـدهم حباً له، وكل من عرف الله أحـبه، ولا سبـيل للحصول على هذه المعـرفة إلا من باب العلم بأسـماء الله وصـفاته، فـلا تستقـر للعبـد قدم في مـعرفـة الله إلا بالتعرف على أسـمائه وصفاته الواردة في القرآن والسنة، فـالعلم بأسماء الله وصفاته يفتـح للعبد هذا الباب العظيم، فالله عز وجل لم يجـعل السبيل إلى معرفته من طريق الاطلاع على ذاته فهذا الباب موصود إلى قيام الساعة كما

---

(١) مجموع الفتاوى ٤١/٢ «بتصرف».

أخبرنا بذلك نبينا محمـــد ﷺ حيث قال « تعلمـوا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت ».[1]

وكذلك فإن من المحال أن تستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على وجه التفصيل فـهى عاجزة عن ذلك لكونه من المغيبات التى لا سبيل إلى معرفتـها إلا من طريق الوحي والـله عز وجل يقـول ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2] فهذه الآية تبين محدودية علم الانسان.

وقـد اقتـضت رحمـة العـزيز الحكيم أن بعث الرسل به مـعرفين وإليـه داعين وجعل معـرفته سبـحانه بأسمائه وصفـاته وأفعاله هى مفـتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم، فـأساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامـه عليهم والأصل الأول فيها: معرفة الله سبحـانه بأسمائه وصفاته وأفعاله. ثم يتبع هذا الأصل أصلان عظيمان هما:

١- تعريف الناس الطريق الموصلة إلى اللـه وهى (شريعته المتضـمنة لأمره ونهيه).

٢- تعريفهم مألهم فى الآخرة.

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد ١٩٣/٨ .

(٢) الآية ٨٥ من سورة الإسراء .

وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول مبنيان عليه، فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصلة إليه، وأعرفهم بحال الناس عند القدوم عليه.

سادسا: أساس العلم الصحيح هو الإيمان بالله وبأسمائه و صفاته:

على أساس العلم الصحيح بالله وبأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص وتنبنى مطالب الرسالة جميعها، فهذا التوحيد هو أساس الهداية والإيمان وهو أصل الدين الذى يقوم عليه، ولذلك فإنه لا يتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربه، فهذه المعرفة لازمة لانعقاد أصل الإيمان، وهى مهمة جداً للمؤمن لشدة حاجته إليها لسلامة قلبه وصلاح معتقده واستقامة عمله، فهذه المعرفة لأسماء الله وصفاته وأفعاله توجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك والإقرار والتعطيل، وتنزيه الرب عما لايليق به ووصفه بماهو أهله من الجلال والإكرام.

وذلك يتم بتدبر كلام الله تعالى وما تعرف به سبحانه إلى عباده على ألسنة رسله من أسمائه وصفاته وأفعاله وما نزه نفسه عنه مما لا ينبغى له ولا يليق به سبحانه.

والجدير ذكره أن معرفة الله نوعان:

النوع الأول : المعرفة الاجمالية

وهى التى تلزم العبد المؤمن لينعقد بها أصل الإيمان، وهى تتحقق بالقدر الذى يميز العبد به بين ربه وبين سائر الآلهة الباطلة، ويتحقق بها الايمان المجمل، وتجعله فى سلامة من الكفر والشرك المخرجين من الايمان، وتخرجه من حد الجهل بربه وما يجب له.

وهذه المعرفة يتحصل عليها من قراءة سورة الاخلاص وآية الكرسى وغيرها من الآيات ومعرفة معانيها.

ولكن هذه المعرفة لا توجب قوة الإيمان والرسوخ فيه .

النوع الثانى : المعرفة التفصيلية

وهذه تكون بمعرفة الأدلة التفصيلية الواردة فى هذا الباب وتعلمها واعتقاد اتصاف الله بها ومعرفة معانيها والعمل بمقتضياتها وأحكامها.

وهذه المعرفة هى التى يحصل بها زيادة الإيمان ورسوخه، فكلما ازداد العبد علما بالله زاد إيمانه وخشيته ومحبته لربه وتعلقه به قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾[1] كما تجلب للعبد النور والبصيرة التى

---

(١) الآية ٢٨ من سورة فاطر.

تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة.

(والعلم بالله يراد به في الأصل نوعان :

أحدهما : العلم به نفسه، أي بما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام وما دلت عليه أسماؤه الحسنى.

وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فإنه لابد أن يعلم أن الله يثيب على طاعته؛ ويعاقب على معصيته.

والنوع الثاني : يراد بالعلم بالله العلم بالأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي، والحلال والحرام.

ولهذا قال بعض السلف: العلماء ثلاثة :

١- عالم بالله ليس عالماً بأمر الله.
٢ - عالم بأمر الله ليس عالماً بالله .
٣ - عالم بالله وبأمر الله .

فالعالم بالله : الذي يخشى الله؛ والعالم بأمر الله: الذي يعرف الحلال والحرام).[1]

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣٣٣ «بتصرف يسير» .

سابعا : العلم بأسماء الله و صفاته هو حياة القلوب:

فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها ويكون أحب إليها مما سواه، والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية، وبدون اهتدائه إلى ربه لا يكون إلا شقيا معذباً كما هو حال الكافرين.

فالله تبارك خلق هذا الإنسان وركبه من الجسد والروح وشاء أن يكون خلق الجسد من التراب قال تعالى ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾[1] وجعل قوام الجسد وحياته من التراب، فهو يأكل ويشرب ويكتسي من الأرض وما فيها. وجعل في هذا الجسد الروح قال تعالى ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[2] وشاء أن يكون قوام هذه الروح وحياتها في معرفة الله وعبادته فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه ودوام ذكره والسعي في مرضاته، لذلك فإن من في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التبصر فيه، وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجل غاياته، فهذا هو

---

(١) الآية ٥ من سورة الحج .

(٢) الآية ٢٩ من سورة الحجر.

الكمـال الذى لا كمـال للعبد بدونه، وله خـلق الخلق، ولأجله نزل الوحى وأرسلت الرسل وقامت السموات والأرض، ووجدت الجنة والنار، ولأجله شـرعت الشـرائع، وأسـست الملة ونصـبت القـبلة، وهـو قطب رحى الخلق والأمر الذى مدارهما عليه.

وهو بحق أفـضل ما اكـتسبتـه القلوب وحـصلته النفـوس وأدركتـه العقول، وليست القلوب الصحيـحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معـرفة هذا الأمر ولا فرحها بشيء أعظم من فـرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه.[1]

ثامنا: ثمرة معرفة أسماء الله و صفاته:

مما يدلل ويؤكـد أهمية هذا التـوحيـد هو ما تثـمره معـرفة أسـماء الله وصفاته فى قلب المؤمن من زيادة فى الإيمان ورسوخ فى اليقين، وما تجلبه له من النور والبصيرة التى تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة.

فهذا العلم إذا رسخ فى القلب أوجب خشية الله لا محالة. فلكل اسم من أسـمـاء اللـه تأثيـر مـعين فى القلـب والسلوك، فـإذا أدرك القلب مـعنى

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى ص٢٨ – ٢٩.

الاسم وما يتضمنه واستشعرذلك، تجاوب مع هذه المعانى وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

ولكل صفة عبودية خاصة هى من موجباتها ومقتضياتها فالأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لأثارها من العبودية وهذا مطرد فى جميع أنواع العبودية التى على القلب والجوارح فمثلاً: علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً.

وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل مالا يرضى الله وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر له الخضوع

والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الاحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة هى موجباتها.

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية.

فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها.[1]

وبهذا يتبين أن معرفة العبد لأسماء الله وصفاته على الوجه الذى أخبر الله عز وجل به فى كتابه وسنة رسوله ﷺ توجب على العبد القيام بعبودية الله على الوجه الأكمل. فكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والاخلاص والتعبد أقوى؛ وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التى يطلع عليها البشر، إذ كل اسم من أسمائه عز وجل له تعبد مختص به، علماً ومعرفة وحالاً.

«علماً ومعرفة»: أى أن من علم أن الله مسمى بهذا الاسم، وعرف مايتضمنه من الصفة ثم اعتقد ذلك فهذه عبادة.

و «حالاً» أى ان لكل اسم من أسماء الله مدلول خاص وتأثير معين فى القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/٩٠ .

ذلك، تجاوب مع هذه المعانى وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

وهذه الطريقة مشتقة من قلب القرآن قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ .[1]

والدعاء بها يتناول: دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد. وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها.[2]

تاسعا: ضرورة تجنب الباطل ومخالفة طريق الحق في هذا الباب:

يعتبر باب الأسماء والصفات من أكثر الأبواب خطورة ومزلة من جهة كونه محل خلافات شديدة ومعقدة دارت رحاها بين علماء السلف من جهة والفلاسفة وأهل الكلام والمشبهة من جهة أخرى.

فمن واجب طالب العلم أن يتعمق فى فهم الحق المبنى على الكتاب والسنة قال تعالى ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[3] فالرد إلى الله يكون بالرد الى كتابه والرد إلى الرسول بعد وفاته يكون بالرد

(١) الآية ١٨٠ من سورة الأعراف.

(٢) مدارج السالكين ١/٤٢٠.

(٣) الآية ٥٩ من سورة النساء.

إلى سنته ﷺ. وقـــد قـال تعـالى ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[1] فـالله أعلم بنفسه وهو الذى أخبر بأسمائه وصفاته فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وكذلك فإن النبي ﷺ أعلم الناس بربه وأصدقهم خبراً وقد قال الله فى حقه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[2].

فمن الواجب على المسلم أن يدرس هذا الباب ويتعمق فى فهمه وفق ماورد فـى الكتاب والسنة، وأن يحـذر من التيـارات الفلسفـية التـي أضرت أصحابها وأدخلتهم فى دوامة الانحراف والضياع فحالت بين قلوبهم وبين معـرفة ربهم فأصبحت قلوبهم مظلمة جاهلة بحقائق الايمان، فـترتب على ذلك إعراضـهم عن الله وعن ذكره ومـحبته والثناء عليـه بأوصاف كـماله ونعوت جلاله، فانصرفت قوى حبهم وشوقهم وأنسهم الى سواه.

ومعلوم أنه لا يسـتقـر للعبد قـدم فى المعرفة، بـل ولا فى الإيمان، حتى يؤمن بأسمـاء وصفات الرب جـل جلاله، ويعرفـها معـرفة تخرجـه عن جد الجهل بربه، فالايمان بالأسماء والصفات وتعـرفها هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمـرة شجـرة الإحسـان، فمـن جحـدها فقـد هدم أساس الإسـلام والإيمان وثمـرة شجـرة الاحـسان ، فـضلا عن أن يـكون من أهل العرفـان.

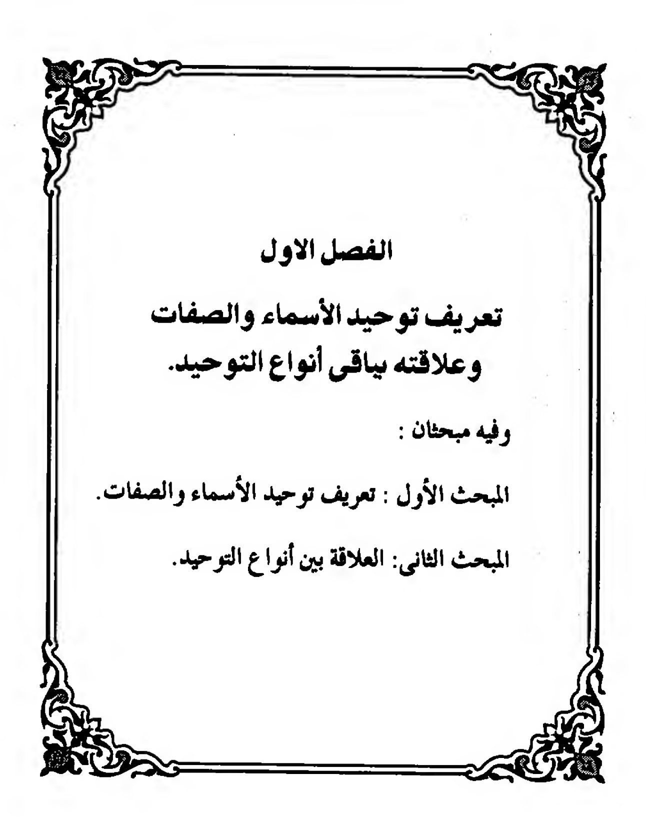
---

(١) الآية ١٤٠ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٣ من سورة النجم .

فينبغى للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه، فى معرفة الأسماء والصفات، وأن تكون معرفته سالمة من داء التعطيل وداء التمثيل اللذين ابتلى بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ، فالمعرفة الصحيحة هي المتلقاة من الكتاب والسنة ، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التى لا يزال صاحبها فى زيادة إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة أحواله.

* * *



الفصل الاول

تعريف توحيد الأسماء والصفات وعلاقته بباقي أنواع التوحيد.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: العلاقة بين أنواع التوحيد.

المبحث الأول

تعريف توحيد الأسماء والصفات

حدود الأشياء وتفسيرها الذي يوضحها، تتقدم أحكامها فإن الحكم على الأشياء فرع عن تصورها. فمن حكم على أمر من الأمور -قبل أن يحيط علمه بتفسيره، وبتصوره تصوراً يميزه عن غيره- أخطأ خطأً فاحشاً.[1]

توحيد الأسماء والصفات : هو إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة والإيمان بمعانيها وأحكامها.

شرح مفردات التعريف:

أولا - « إفراد الله » : هذا معنى كلمة «التوحيد» فأصل هذه الكلمة من «وحد» فيقال وَحَّدَ. يُوَحِّدُ. توحيداً : أي جعله واحداً.

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص٧.

ومادة «وحد» في اللغة مدارها على إنفراد الشيء.

فإذا قلت توحيد الله بأسمائه : فالمعنى إفراد الله بأسمائه

ثانيا – « بأسمائه الحسنى » :

«بأسمائه » : الاسم في اللغة : هو اللفظ الموضوع لمعنى تعييناً أو تمييزا.

أو الاسم : مادل على الذات وما قام بها من الصفات .

ومن أسماء الله تعالى : الله – الرحمن – الرحيم – الغفور – العزيز – القدير – السميع– البصير – البارىء... .

« الحسنى » : هذا وصف لأسماء الله وقد ورد ذكره في القرآن الكريم

١- المواضع التي ورد فيها:

ورد هذا الوصف لأسماء الله عز وجل في أربعة مواضع من كتاب الله عز وجل وهذه المواضع هي :

أ – قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف ١٨٠.

ب – قال تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الإسراء ١١٠

ج - قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ طه ٨ .

د- قال تعالى ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الحشر ٢٤ .

٢- **تصريفها**: حسنى على وزن « فُعْلَى » تأنيث أفعل التفضيل، فحسنى تأنيث أحسن، ككبرى تأنيث أكبر، وصغرى تأنيث أصغر، ولذلك يخطيء من يقول إنها تأنيث حسن، لأن تأنيث «حسن» «حسنة»، ومن أجل ذلك لا يصح أن نقول: إن أسماء الله حسنة والصواب هو أن نقول: إن أسماء الله حسنى كما وصفها الله بذلك.

٣- **معناها**: معنى حسنى : المفضلة على الحسنة، أي البالغة فى الحسن غايته.

٤- **المعنى العام للآية**: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ : لله أحسن الأسماء وأجلها لإنبائها عن أحسن المعانى وأشرفها.

٥- **الحكم المستفاد** : يجب الإيمان بهذا الوصف الذى أخبر الله به عن أسمائه وذلك بالاعتقاد الجازم أن أسماء الله هى أحسن الأسماء وأتمها وأكملها معنى. وفى هذا الوصف أحكام أخرى مستفادة سيأتى الكلام عنها بإذن الله فى المسائل التفصيلية المتعلقة بأسماء الله الحسنى .

ثالثا « و صفاته العلى » :

« وصفاته »: الصفة هى : ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من أمور ذاتية أو معنوية أو فعلية.

ومن صفات الله عز وجل :

الذاتية ÷ اليدان – الوجه – العينان – الأصابع

المعنوية : العلم – القدرة – الحياة – الارادة

الفعلية : النزول – الاستواء – الخلق – الرزق

« العلى » : هذا الوصف جاء ذكره فى نص القرآن العظيم

١– المواضع : قال تعالى ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾النحل٦٠ .

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الروم٢٧ .

وفى القرآن العظيم آيات كثيرة تدل على كمال صفات الله سيأتى الكلام عنها بإذن الله فى المسائل التفصيلية المتعلقة بصفات الله.

٢– **تصريفها** : « الأعلى » صيغة أفعل التفضيل أى أعلى من

غـيره.[1]

٣- معنى الآيـة : قـال القـرطبى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ : أى الوصف الأعلى.[2]

وقال ابن كثير : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ : أى الكمـال المطلق من كل وجه.[3]

وقال ابن سِعدي : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ وهو كل صـفة كـمال، وكل كـمـال فى الوجـود فـالله أحـق به من غـيـر أن يسـتلزم ذلك نقـصـاً بوجه.[4]

٤- **الحكم المستفاد** : يجب الإيمان بما أخبر اللـه به عن نفسه وذلك بالاعتقاد الجازم بأن كل ماأخبر الله به فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الصفات هـى صفات كمال لا نقـص فيها بوجه مـن الوجوه، فهو سبـحانه المستحق للكمال المطلق من جميع الوجوه.

قال الإمام ابن القـيم : (المثل الأعلـى يتضمن ثبـوت الصـفات العليا لله سبحـانه، ووجـودها العلمى، والخبـر عنهـا، وذكـرها، وعبـادة الرب

---

(١) الصواعق المرسلة ٣/١٠٣٠ .

(٢) تفسير القرطبي ١٠/١١٩.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٥٧٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤/١٠٤.

سبحانه بها...).[1]

رابعا: « الواردة في القرآن والسنة »:

أي يجب الوقوف في أسماء الله وصفاته على ماجاءت به نصوص القرآن والسنة لا نزيد على ذلك ولا ننقص منه.

فلا نسمي أو نصف الله بما لم يُسَمِّ أو يصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

وذلك لأنه لا طريق إلى معرفة أسماء الله وصفاته إلا من طريق واحد هو طريق الخبر –أي الكتاب والسنة–.

فلو قال شخص لله سمع بلا أذنين.

وقال آخر لله سمع بأذنين.

لحكمنا بخطأ الإثنين لأنه لم يأت ذكر الأذنين في النصوص لا نفياً ولا إثباتاً والحق هو أن يقال لله سمع يليق بجلاله كما جاءت بذلك النصوص، وقد نهانا الله أن نتكلم بغير علم فقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[2] وبالتالي لا يجوز الإثبات أو النفي إلا بالنص.

---

(١) الصواعق المرسلة ١٠٣٤/٣ بتصرف.

(٢) الآية ٣٦ من سورة الإسراء.

قال الإمام أحمد (ت٢٤١) رحمه الله :(لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسولهﷺلا نتجاوز القرآن والسنة).[١]

وقال ابن عبدالبَر (ت ٤٦٣) رحمه الله (ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صح عن رسول اللهﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه).[٢]

خامساً : «والإيمان بمعانيها وأحكامها »

أي الايمان بما تضمنته من المعاني وبما ترتب عليها من مقتضيات وأحكام.

وهذا ماجاء الأمر به والحث عليه في القرآن والسنة .

فمن القرآن : قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.[٣]

والشاهد من الآية قوله « فادعوه بها ».

ووجه الاستشهاد : أن الله يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه

---

(١) الفتوى الحموية ص٦١، ط: دار فجر للتراث.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص٩٦ .

(٣) الآية ١٨٠ من سورة الأعراف .

وصـفاتـه، ويثنوا عليـه بها، ويـأخذوا بحظهـم من عبـوديتـهـا فالدعـاء بهـا يتنـاول:

دعاء المسألة[1]: كقولك : ربى ارزقنى.

ودعاء الثناء:[2] كقولك : سبحان الله .

ودعاء التعبد:[3] كالركوع والسجود.[4]

ومن السنة : قوله ﷺ« إن لله تسعة وتسعين إسـماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة» متفق عليه.[5]

الشاهد من الحديث قوله ﷺ: «من أحصاها»

ووجه الاستشـهاد : أن معنى أحـصاها : أى حـفظها ألفـاظاً ، وفهم معانيها ومدلولاتها، وعمل بمقتضياتها وأحكامها.

فالعلم بـأسماء الله وصـفاته واعتـقاد تسـمي اللهِ واتصافـهِ بها هو من العبـادة وإدراك القلب لمعـانيهـا ومـا تضـمنتـه من الأحكام والمقـتضيـات

---

(١) دعاء المسألة : ماكان فيه طلب جلب نفع أو دفع مضرة.

(٢) دعاء الثناء : ماكان فيه التمجيد والثناء على الله وخلا من السؤال.

(٣) دعاء التعبد : الحركات التعبدية كالصلاة فهي دعاء .

(٤) مدارج السالكين ١/ ٤٢٠ .

(٥) اخرجه البخاري في صحيحه . انظر فتح الباري ١٣/ ٣٧٧، ح٧٣٩٢، واخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٦٣).

واستشعاره وتجاوبه لذلك بالقدر الذى يؤدى إلى سلامة تفكيره واستقامة سلوكه هو عبادة أيضاً.

فأهل السنة يؤمنون بما دلت عليه أسماء الله وصفاته من المعانى وبما يترتب عليها من مقتضيات وأحكام، بخلاف أهل الباطل الذين أنكروا ذلك وعطلوه.

فأهل السنة يؤمنون بأن كل اسم من أسماء الله يدل على معنى الذى نسميه «الصفة» فلذلك كان لزاماً على من يؤمن بأسماء الله تعالى أن يراعى الأمور التالية:

أولاً: الإيمان بثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.
ثانياً: الإيمان بما دلّ عليه الاسم من المعنى «أى «الصفة».
ثالثاً: الايمان بما يتعلق به من الآثار والحكم والمقتضى.

مثال ذلك: «السميع».

اسم من أسماء الله الحسنى فلابد للإيمان به من :

١- إثبات اسم «السميع» باعتباره إسماً من أسماء الله الحسنى.
٢- إثبات « السمع » صفة له.
٣- إثبات الحكم « أي الفعل » وهو أن الله يسمع السر والنجوى.

وإثبات المقتضى والآثر : وهو وجوب خشية الله ومراقبته وخوفه والحياء منه عزوجل.

قال ابن القيم رحمه الله : (كل اسم من أسمائه عز وجل له تعبد مختص به علماً ومعرفة وحالاً :

علماً ومعرفة : أى أن من علم أن الله مسمى بهذا الاسم وعرف ما يتضمنه من الصفة ثم اعتقد ذلك فهذه عبادة.

وحالاً : أى أن لكل اسم من أسماء الله مدلولاً خاصاً وتأثيراً معيناً فى القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك،،تجاوب مع هذه المعانى وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه).(1)

وكذلك الشأن فى صفات الله عز وجل فلابد من الايمان بمعانيها وأحكامها فهذه عقيدة أهل السنة، بخلاف عقيدة المعطلة الذين نفوا مادلت عليه تلك الصفات من المعانى، وتلاعبوا بتلك المعانى فحرفوها وبدلوها.

فأهل السنة يرون أنه لزاماً على من أراد إثبات الصفات والايمان بأنها صفات كمال تثبت لله حقيقة أن يراعى الأمور التالية :

١- إثبات تلك الصفة فلا يعاملها بالنفى والإنكار.

٢- أن لا يتعدى بها اسمها الخاص الذى سماها الله به، بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة، فلا يعطل الصفة ولا يغير اسمها ويعيرها اسما

---

(1) مدارج السالكين ١/٤٢٠ .

آخر كما تسمى الجهمية المعطلة سمعَه وبصرَه وكلامَه « أعراضا ».

ويسمون وجهه ويديه وقدمه « جوارح وأبعاضاً »
ويسمون علوَّه على خلقه واستواءه على عرشه «تحيزاً».

٣- عدم تشبيهها بما للمخلوق، فإن الله سبحانه (ليس كمثله شيء) لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

٤- اليأس من إدراك كنهها وكيفياتها، فالعقل قد يئس من تعرف كنه الصفة وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول أهل السنة «بلا كيف» : أي بلا كيف يعقله البشر، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟. ولا يقدح ذلك في الايمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك.[1]

٥- تحقيق المقتضى والأثر لتلك الصفات، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها -أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها- فعلم العبد بتفرد الرب بالخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية « التوكل » .

وعلم العبد بجلال الله وعظمته وعزه يثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة... .

---

(١) مدارج السالكين ٣/٣٥٨ - ٣٥٩ «بتصرف يسير» .

المبحث الثاني

العلاقة بين أنواع التوحيد

بعد شرح تعريف توحيد الأسماء والصفات، لعل من المناسب هنا ذكر العلاقة بين هذا النوع من أنواع التوحيد وبقية أنواع التوحيد.

ونمهد لذلك بذكر تقسيمات أهل العلم للتوحيد فنقول :

أقسام التوحيد:

تنوعت عبارات علماء أهل السنة فى التعبير عن أنواع التوحيد ولكنها مع ذلك التنوع متفقة فى المضمون، ولعل السبب فى ذلك هو أن تلك التقسيمات مأخوذة من استقراء النصوص ولم ينص عليها باللفظ مباشرة ولذلك فمن العلماء[1] من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هى:

١- توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بأفعاله كالخلق والرزق.
٢- توحيد الاسماء والصفات: وقد تقدم ذكر تعريفه.
٣- توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بأفعال العباد التعبدية كالصلاة والصوم

---

(١) انظر طريق الهجرتين ص٣٠، وشرح الطحاوية ص٧٦، ولوامع الأنوار للسفاريني ١/١٢٨، وتيسير العزيز الحميد ص١٧- ١٩.

والدعاء.

ومن المتأخرين من زاد قسماً رابعاً على الأقسام الثلاثة السابقة وسماه

٤- توحيد الاتباع أو توحيد الحاكمية (أي التحاكم إلى الكتاب والسنه) ولكن يلاحظ على من ذكر هذا القسم أن هذا القسم في الحقيقة داخل ضمن توحيد الألوهية لأن العبادة لاتقبل شرعاً إلا بشرطين هما:

١- الإخلاص.

٢- الاتباع.

كما قال تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ .(١)

ولكن لعل مقصود من أفرد « الاتباع » بقسم مستقل هو ابراز أهميته وتعظيم شأنه نظراً لانصراف الناس عنه، والله أعلم.

ومن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين وهذا هو الأغلب في كلام أهل العلم المتقدمين لأنهم يجمعون بين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وذلك بالنظر إلى أنهما يشكلان بمجموعهما جانب العلم بالله

---

(١) الآية ١١٠ من سورة الكهف .

ومعرفته عز وجل فجمعوا بينهما لذلك. بينما توحيد الألوهية يشكل جانب العمل لله.

وتقسيم التوحيد الى ثلاثة أقسام راجع إلى اعتبار متعلق التوحيد، وتقسيمه الى قسمين راجع الى اعتبار ما يجب على الموحد.

فمن العلماء من يقول التوحيد قسمان:[1]

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات

ويريد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وسمى بتوحيد المعرفة: لأن معرفة الله عز وجل إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله .

والإثبات: أي إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال.

القسم الثاني: توحيد القصد والطلب:

ويراد به توحيد الألوهية، وسُمّي بتوحيد القصد والطلب لأن العبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحه بالعبادة لله وحده رغبة ورهبة ويقصد بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين هما: [2]

(١) ممن ذكر ذلك ابن القيم في كتابه مدارج السالكين ٣/٤٤٩ .

(٢) ممن ذكر ذلك ابن القيم في كتابه مدارج السالكين ٣/٤٥٠ ، وابن تيمية في الصفدية ٣/٤٥٠.

القسم الأول : التوحيد العلمي الخبري:

والمقصود به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات

وسمى بالتوحيد العلمي : لأنه يعتنى بجانب معرفـــة الله فالعلمي أي «العلـــم بالله»

والخبرى: لأنه يتوقف على الخبر أى « الكتاب والسنة»

القسم الثانى : التوحيد الإرادى الطلبى :

والمقصود به توحيد الألوهية وسمى بالتوحيد الإرادى لأن العبد له فى العبادات إرادة فهـو إما أن يقوم بتلك العبادة أو لا يقـوم بها وسُمي بالطلبى لأن العبد يطلب بتلك العبادات وجه الله ويقصده عز وجل بذلك .

ومن العلماء من يقسم التوحيد الى قسمين فيقول:[1]

القسم الأول : التوحيد القولى :

والمراد به توحيد الربوبيـة وتوحيد الأسماء والصفـات وسمى بالقولى لأنه في مقابل توحيد الألوهية الذى يشكل الجانب العملى من التوحيد وأما هذا الجانب فهو مختص بالجانب القولى العلمى.

---

(١) ممن ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر مجموع الفتاوى ١/٣٦٧.

القسم الثاني : التوحيد العملي :

والمراد به توحيد الألوهية وسمي بالعملي لأنه يشمل كلا من عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح التي تشكل بمجموعها جانب العمل من التوحيد فالتوحيد له جانبان جانب تصديقي علمي وجانب انقيادي عملي.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول :

القسم الأول : توحيد السيادة :

ويعني بذلك توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وسمي بذلك لأن تفرد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته يوجب له السيادة المطلقة والتصرف التام في هذا الكون خلقاً ورزقاً وإحياء وإماتة وتصرفاً وتدبيراً سبحانه وتعالى. فمن واجب الموحد أن يفرد الله بذلك.

والقسم الثاني : توحيد العبادة

المراد به توحيد الألوهية وتسميته بذلك واضحة لا تحتاج إلى مزيد تفصيل.

وهذا ماوقفت عليه من تقسيمات العلماء للتوحيد وهي واحدة من حيث مضمونها كما سبق إيضاح ذلك من خلال ربطها بالتقسيم الأول، ولذا فإن الاختلاف بينها منحصر في الألفاظ فقط. والله أعلم.

وأما عن « العلاقة بين هذه الأقسام للتوحيد » فأقول :

هذه الأقسام تشكل بمجموعها جانب الايمان بالله الذى نسميه « التوحيد » فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة فهى متكافلة متلازمة يكمل بعضها بعضاً ولا يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وكذلك لا يصح ولا يقوم توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله فى ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله فى أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف فى أى نوع منها هو خلل فى التوحيد كله.(فمعرفة الله لا تكون بدون عبادته والعبادة لا تكون بدون معرفة الله فهما متلازمان).[1]

وقد أوضح بعض أهل العلم هذه العلاقة بقوله :(هى علاقة تلازم وتضمن وشمول) .

فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية .

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معاً

بيان ذلك : أن من أقر بتوحيد الربوبية وعلم أن الله سبحانه هو الرب

---

(١) تحذير أهل الايمان ١/ ١٤٠ (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية) .

وحده لا شريك له في ربوبيته لزمه[1] من ذلك الإقرار أن يفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى، لأنه لايصلح أن يعبد إلا من كان رباً خالقاً مالكاً مدبراً. ومادام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

ولهذا جرت سنة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مقرونة بآيات الدعوة الى توحيد الألوهية ومن أمثلة ذلك

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.[2]

وأما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية: لأن من عبد الله ولم يشرك به شيئاً فهذا يدل ضمناً على أنه قد اعتقد بأن الله هو ربه ومالكه الذى لا رب غيره.

وهذا أمر يشاهده الموحد من نفسه فكونه قد أفرد الله بالعبادة ولم

---

(١) اللازم هنا قد يتخلف كما هو الحال في كفار قريش فهم يقرون بتوحيد الربوبية كما دلت على ذلك النصوص، ولكنهم لم يحققوا اللازم من إقرارهم بتوحيد الربوبية.

(٢) الآيتان ٢١ – ٢٢ من سورة البقرة.

يصرف شيئا منها لغير الله، ما هو إلا لاقراره بتوحيد الربوبية وأنه لا رب ولا مالك ولا متصرف إلا الله وحده.

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنوعين معاً وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكل ماله من الأسماء الحسنى والصفات العلى التى لا تنبغى إلا له سبحانه وتعالى. والتى من جملتها الرب- الخالق- الرازق- الملك وهذا هو توحيد الربوبية.

ومن جملتها: الله- الغفور- الرحيم- التواب وهذا هو توحيد الألوهية.[1]

فائدة : القرآن كله دعوة للتوحيد

قال ابن القيم رحمه الله (كل سورة فى القرآن هى متضمنة للتوحيد، بل نقول قولاً كلياً: إن كل آية فى القرآن فهى متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه.

فإن القرآن :

١ - إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله. فهو التوحيد العلمى الخبرى.

---

(١) انظر : الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبدالعزيز السلمان ص٤٢١-٤٢٢.

٢ - وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادى الطلبى.

٣ - وإما أمر ونهى، وإلزام بطاعته فى نهيه وأمره، فهى حقوق التوحيد ومكملاته.

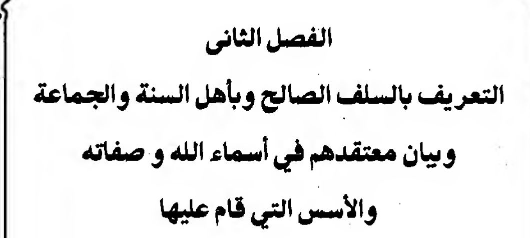
٤ - وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به فى الآخرة. فهو جزاء توحيده.

٥ - وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم فى الدنيا من النكال، وما يحل بهم فى العقبى من العذاب. فهو خبر عمن خرج عن حكم توحيده.

فالقرآن كله فى التوحيد وحقوقه وجزائه، وفى شأن الشرك وأهله وجزائهم.)[1]

* * *

(١) مدارج السالكين ٣/٤٤٩- ٤٥٠ .



الفصل الثانى

التعريف بالسلف الصالح وبأهل السنة والجماعة وبيان معتقدهم في أسماء الله و صفاته والأسس التي قام عليها

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالسلف الصالح وبأهل السنة والجماعة.

المبحث الثانى : معتقد أهل السنة فى أسماء الله وصفاته.

المبحث الثالث : الأسس التى قام عليها معتقدهم فى أسماء الله وصفاته.

المبحث الأول

التعريف بالسلف الصالح
وبأهل السنة والجماعة

أولا : التعريف بالسلف :

أ- معنى السلف لغة:

(السلف : جمع سالف على وزن حارس وحرس، وخادم وخدم، والسالف المتقدم، والسلف... الجماعة المتقدمون)[1].

قال ابن فارس:(السين، واللام، والفاء) أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلاف : المتقدمون.)[2]

ب- المقصود بالسلف الصالح :

(تعددت أقوال العلماء في تحديد ذلك من حيث المدى الزمني :

---

(١) لسان العرب ١٥٨/٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٩٥/٣ مادة «سلف».

١ – فمن العلماء من قصر ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم فقط.

٢ – ومن العلماء من قال بأنهم هم : الصحابة والتابعون.

٣ – ومن العلماء من قال بأنهم هم : الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين.[1]

والقول الصحيح المشهور الذى عليه جمهور علماء أهل السنة هو أن المقصود بالسلف الصالح هم القرون الثلاثة المفضلة الذين شهد لهم النبى ﷺ بالخيرية حيث قال« خير القرون القرن الذى بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» متفق عليه[2] فالسلف الصالح هم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين.

وكل من سلك سبيلهم وسار على نهجهم فهو سلفى نسبة اليهم.

والسلفية : هى المنهج الذى سار عليه النبى ﷺ والقرون المفضلة من بعده والذى أخبر النبى ﷺ بأنه باق إلى أن يأتى أمر الله لحديث «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتى أمر الله

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق د. محمد باكريم ص٩٢ – ٩٤، وكتاب لزوم الجماعة ص٢٧٦– ٢٧٧ تأليف جمال بادي.

(٢) اخرجه البخاري (٥/١٩٩، ٦/٧، ١١/٤٦٠)، ومسلم ٧/١٨٤– ١٨٥.

وهم كذلك ».[1]

فيصح الانتساب إلى هذا المنهج متى التزم الإنسان بشروطه وقواعده، فكل من حافظ على سلامة العقيدة والعمل طبقا لفهم القرون الثلاثة المفضلة فهو ذو نهج سلفي.

ج- قواعد المنهج السلفي :

يمكن حصر ركائز وقواعد المنهج السلفي على سبيل الاختصار في النقاط التالية:

أولا : ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها.

ثانياً : التقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث. وذلك يتم بـ

أ – الاجتهاد في تمييز صحيحه من سقيمه.

ب – الاجتهاد في الوقوف على معانيه وتفهمه.[2]

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحه ١٥٢٣/٣ .

(٢) بيان فضل علم السلف على الخلف لابن رجب ص١٥٠ – ١٥٢ ، وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/٩– ١٠ .

ثالثاً : العمل بذلك والاستقامة عليه اعتقاداً وتفكيراً وسلوكاً وقولاً والبعد عن كل مايخالفه ويناقضه.

رابعاً : الدعوة إلى ذلك باللسان والبنان.

فمن التزم هذه القواعد فى الاعتقاد والعمل فهو على النهج السلفى بإذن الله.

د- الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم منهجهم :

أولا : من القرآن الكريم :

قال تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[1]

فرضى عز وجل عن السابقين الأولين رضاءً مطلقاً، ورضى عن التابعين لهم بإحسان.

(١) الآية ١٠٠ من سورة التوبة.

وقال تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾.(١)

فتوعد الله من اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد فى الآية السابقة متبعهم بالرضوان.

ب - الأدلة من السنة :

١- قوله ﷺ «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».(٢)

فهذه «الخيرية» التى شهد النبى ﷺ بها لهذه القرون الثلاثة تدل على تفضيلهم وسبقهم وجلالة قدرهم وسعة علمهم بشرع الله وشدة تمسكهم بسنة رسوله ﷺ، وهذا ما تؤكده الأحاديث التالية.

---

(١) الآية ١١٥ من سورة النساء.
(٢) اخرجه البخاري (٥/١٩٩، ٧/٦، ١١/٤٦٠).
وأخرجه مسلم (٧/١٨٤، ١٨٥).

٢- قـــوله ﷺ « افتـرقت اليهـود على إحدى وسبعين فـرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقـة ، وستفتـرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقـة كلها فى النار إلا واحـدة» قيل: من هى يارسـول الله ؟ قـال : « من كان على مثل مـا أنا عليـه اليـوم وأصحـابى »[1] حديث صحيح مشهور .

٣- قوله ﷺ « فإنه من يَعِشْ بعدى فسيرى اختـلافاً كثيراً، فعليكم بسنتى وسنة الخلفـاء الراشدين المهـديين من بعدى، فتمـسكوا بها، وعـضوا عليهـا بالنواجذ، وإياكم ومـحدثات الأمور، فـإن كل محـدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».[2]

فحث ﷺ أمتـه بأن يتبعـوا سنته وسنة من بعده من الخلفـاء الراشدين، عند وقوع التفرق والاختلاف .

---

(١) اخـرجـه ابو داود ٤٥٩٦- ٤٥٩٧) ، التـرمـذي (٢٦٤٠- ٢٦٤١)، والامـام أحمد ٢/٣٣٢، ٣/١٢٠، ١٤٥، ٤/١٢٠، وابن ماجه (٣٩٩١- ٣٩٩٣).

(٢) اخـرجـه الامـام احـمـد ٤/١٢٦- ١٢٧، وابو داود (٤٦٠٧)، والترمـذي (٢٦٧٦)، والدارمي (١/٤٤)، وغيرهم.

ج- من أقوال السلف الصالح وأتباعهم

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم ، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا».[1]

وعنه رضى الله عنه قال: «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».[2]

وعنه رضى الله عنه قال: « إنا نقتدى ولا نبتدى، ونتبع ولا نبتدع ، ولن نضل ماتمسكنا بالأثر».[3]

وعنه رضى الله عنه قال : « اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم».[4]

---

(١) الزهد لابن المبارك ص٢٨١ ح٨١٥.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٧.

(٣) شرح اصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (ح١٠٥).

(٤) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص١٣ .

وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه: « يامعشر القراء استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقاً بعيدا، ولئن اخذتم يمينا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدا».[1]

وقال مجاهد : « العلماء أصحاب محمد ﷺ».[2]

وقال الأوزاعي : «العلم ماجاء عن أصحاب محمد ﷺ فما كان غير ذلك فليس بعلم » وكذا قال الإمام أحمد رحمه الله .[3]

وقال أيضاً : « اصبر نفسك على السنة، وقِفْ حيث وَقَفَ القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم».[4]

وكان الحسن البصرى فى مجلس فذكر أصحاب محمد ﷺ فقال: «إنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فإنهم ورب الكعبة على الهدى المستقيم ».[5]

---

(١)، (٢)، (٣) جامع بيان العلم ٢/٢٩ .

(٤) الشريعة للآجري ص٥٨.

(٥) جامع بيان العلم ٢/٩٧ .

وقيل لأبى حنيفة رحمه الله: ماتقول فيما أحدث الناس من الكلام فى الأعراض والأجسام؟

قال : « مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة، فإنها بدعة».[1]

وقال الأوزاعى: (عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأى الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلى وأنت منه على طريق مستقيم).[2]

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : (والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله، يدور على ذلك ، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الانبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً إلا لرسول الله ﷺ، ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً إلا للصحابة رضى الله عنهم أجمعين. فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، فإذا أجمعوا لم

---

(١) صون المنطق للسيوطي ٣٢٢ .

(٢) المدخل الى السنن للبيهقي رقم ٢٣٣ .

يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء، فإنهم قد يجمعون على خطأ، بل كل ماقالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ، فإن الدين الذى بعث الله به رسوله ليس مسلماً الى عالم واحد وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيراً لرسول الله ﷺ، وهوشبيه بقول الرافضة في الامام المعصوم.

ولابد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذى بعث الله به الرسول، قبل وجود المتبوعين الذين تنسب اليهم المذاهب فى الأصول والفروع، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ماجاء به الرسول، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة، فلابد أن يكون قوله إن كان حقاً مأخوذا عما جاء به الرسول، موجودا فيمن قبله، وكل قول قيل فى دين الاسلام ، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه ، فإنه قول باطل).[1]

---

(١) منهاج السنة ٥/٢٦٢ – ٢٦٣ .

ثانيا : التعريف بأهل السنة:

يستعمل العلماء تارة مسمى «أهل السنة والجماعة» بدلا من عبارة « السلف » .

وهذه العبارة وردت فى استعمال العلماء لمعنيين هما:

١- المعنى الأخص :

وهو بعينه مدلول لفظة السلف فأهل السنة والجماعة هم الصحابة والتابعون وتابعوهم ومن سلك سبيلهم وسار على نهجهم من أئمة الهدى ومن اقتدى بهم من سائر الأمة أجمعين.

فيخرج من هذا المعنى كل طوائف المبتدعة وأهل الأهواء.

فالسنة هنا فى مقابل البدعة.

والجماعة هنا فى مقابل الفرقة.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[1] قال: « تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة».[2]

---

(١) الآية ١٠٦ من سورة آل عمران .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٩٠ .

وهذا المعنى هو المقصود فى الأحاديث التى وردت فى لزوم الجماعة. والنهى عن التفرق.

وهذا المعنى وإن كان أخص من جهة معناه لكنه هو الأكثر وروداً واستعمالاً في كلام العلماء

٢- المعنى الأعم:

والذى يدخل فيه بعض طوائف المبتدعة فى حالة موافقة قولهم لقول السلف فى مسأله بعينها فى مقابلة طائفة بعينها.

وهذا المعنى أقل استعمالاً لتقيده بشروط معينة هى :

١ – كونه فى مسائل إعتقادية معينة.

٢ – كونه فى مقابل طوائف معينة.

مثاله : استعمال هذا المسمى فى مقابل الرافضة فى مسألتى «الخلافة» و «الصحابة»

فيقال هنا المنتسبون للاسلام قسمان:

١– أهل السنة.

٢– الرافضة .

فيدخل هنا مع أهل السنة بعض طوائف المبتدعة كالأشاعرة وغيرهم، وقد أدخلوا هنا لموافقة قولهم لقول السلف في مسألتي «الخلافة» و «الصحابة» لما حصل فيهما النزاع مع الرافضة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(فلفظ «أهل السنة» يراد به :

١- من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة.

٢- وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول: (إن القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة.)[1]

وقد عبر شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذين القسمين بتسمية

أهل القسم الأول : بأهل «السنة العامة» وهو كل ماليس برافضي.[2]

وأهل القسم الثاني: بأهل «السنة الخاصة» أي أهل الحديث.

---

(١) منهاج السنة ٢/٢٢١، ط: جامعة الامام محمد بن سعود.

(٢) قال شيخ الإسلام : «ولا ريب انهم (أي الروافض) أبعد طوائف المبتدعة عن الكتاب والسنة، ولهذا كانوا هم المشهورين عند العامة بالمخالفة للسنة، فجمهور العامة لا تعرف ضد السني الا الرافضي، فاذا قال احدهم أنا سني فإنما معناه لست رافضياً.» مجموع الفتاوى ٣/٣٥٦.

المبحث الثانى

بيان معتقد أهل السنة والجماعة
فى أسماء الله و صفاته

معتقد أهل السنة فى أسماء الله وصفاته هو : أنهم يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتاً ونفياً فهم بذلك :

١- يسمون الله بما سمى به نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.

٢- ويثبتون لله عز وجل ويصفونه بما وصف به نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٣- وينفون عن الله مانفاه عن نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفى.

فأهل السنة سلكوا فى هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة فكل اسم أو صفة لله سبحانه وردت فى الكتاب والسنة الصحيحة فهى من قبيل

الاثبات فيجب بذلك إثباتها.

وأما النفي فهو أن ينفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي.

قال الإمام أحمد رحمه الله :(لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لانتجاوز القرآن والسنة)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وطريقة سلف الأمة وأئمتها: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله: من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ فهذا رد على الممثلة ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] رد على المعطلة.

فقولهم في الصفات مبني على أصلين:

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقاً كالسنة والنوم والعجز والجهل وغير ذلك.

والثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات.[2]

---

(١) سورة الشورى ١١ .

(٢) منهاج السنة ٢/٥٢٣.

ومن النصوص التى توضح ذلك ما يلى:

أ- قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.(1)

ففى مقام النفى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ .

وفى مقام الإثبات : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ .

ب- قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ .(2)

ففى مقام الإثبات : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ﴾ .

وفى مقام النفى: ﴿ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾.

ج- قوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾.(3)

ففى مقام الاثبات ﴿ ٱللَّهُ ﴾ و ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ .

وفى مقام النفى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ و ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

وأما من السنة ففى مقام الإثبات .

---

(1) الآية ١١ من سورة الشورى .

(2) الآية ٥٨ من سورة الفرقان.

(3) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

قوله ﷺ « ينزل ربنا عـز وجل حين يبقى ثلث الليـل الآخر إلى سـماء الدنيا»[1] متفق عليه.

وقوله ﷺ « لما قـضى الله عز وجل الخلق كـتب في كتـاب فهـو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي»[2] متفق عليه.

وفي مقام النفي

قوله ﷺ « اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً».[3]

وقوله ﷺ « إن الله تعالى ليس بأعور » .[4]

وقوله ﷺ « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ».[5]

شرح قول أهل السنة « من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل».

---

(١) البخاري ٣/٢٢٩، ومسلم ١/٥٢١ ح١٦٨ .

(٢) البخاري ٦/٢٨٧ ح١٩٤، ومسلم ٤/٢١٠٧ ح١٤ .

(٣) البخاري ١٣/٣٧٢ ح ٧٣٨٦ .

(٤) متفق عليه . البخاري ١٣/٩٠، ومسلم ١٨/٥٩ .

(٥) مسلم في صحيحه ١/١١١ .

توحيد الأسماء والصفات له ضدان هما:

١ – التعطيل.

٢ – التشبيه والتمثيل.

فمن نفى صفات الرب عز وجل وعطلها، فقد كذب تعطيله توحيده.

ومن شبهه بخلقه ومثله بهم، فقد كذب تشبيه ،وتمثيله توحيده.[1]

أولاً : معنى قولهم ‹ من غير تحريف ولا تعطيل ›

هذه العبارة فيها تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة أهل التعطيل :

أ- معنى التحريف وبيان أنواعه.

١- ‹ معنى التحريف ›

التحريف لغة : التغيير والتبديل الإمالة.

فهو فى الأصل مأخوذ من قولهم حرفت الشيء عن وجهه إذا أملته وغيرته.

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية ص٣٦ .

والتحريف شرعاً : الميل بالنصوص عن ماهى عليه، إما بالطعن فيها أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها.

أو نقول بعبارة مختصرة : هو العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره.[1]

والتحريف فى باب الاسماء والصفات : هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله بها.

٢- «أنواع التحريف»

التحريف نوعان :

النوع الأول : تحريف اللفظ :

وتعريفه : هو العدول باللفظ عن جهته إلى غيرها. وله أربع صور:

١ – الزيادة في اللفظ

٢ – النقصان فى اللفظ.

٣ – تغيير حركة إعرابية.

٤ – تغيير حركة غير إعرابية .

---

(١) الصواعق المرسلة ١/٢١٥ .

ومن أمثلة تحريف اللفظ :

المثال الأول : تحريف إعراب قوله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[1] من الرفع إلى النصب وقال ﴿ وكلم الله ﴾ أي موسى كلم الله ، ولم يكلمه الله، ولما حرفها بعض الجهمية هذا التحريف قال له بعض أهل التوحيد فكيف تصنع بقوله ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[2] فبهت المحرف .

مثال آخر : أن بعض المعطلة سأل بعض أئمة العربية هل يمكن أن يقرأ العرش بالرفع في قوله ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[3] وقصد بهذا التحريف أن يكون الاستواء صفة للمخلوق لا للخالق.[4]

النوع الثاني : تحريف المعنى :

وتعريفه : هو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ[5] أو نقول تعريفه : هو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته،

---

(١) الآية ١٦٤ من سورة النساء .

(٢) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ٥ من سورة طه .

(٤) الصواعق المرسلة ٢١٨/١ .

(٥) الصواعق المنزلة ٢٠١/١ .

وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما.

وهذا النوع هو الذى جال فيه أهل الكلام من المعطلة وصالوا وتوسعوا وسموه تأويلاً وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة.[1]

ومن أمثلة تحريف المعنى :

كقول المعطلة فى معنى استوى : استولى فى قوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[2] .

وفى معنى اليد فى قوله تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[3] النعمة والقدرة .

وفى معنى المجيء فى قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[4] وجاء أمر ربك.

وقد ذكر الله التحريف وذمه حيث ذكره، وهو مأخوذ فى الأصل عن اليهود فهم الراسخون فيه وهم شيوخ المحرفين وسلفهم فإنهم حرفوا

---

(١) مختصر الصواعق ٢/١٤٧ .

(٢) الآية ٥ من سورة طه .

(٣) الآية ٦٤ من سورة المائدة .

(٤) الآية ٢٢ من سورة الفجر .

كثيراً من ألفاظ التوراة وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن ، دون غيرهم من الأمم.

وقد درج على آثارهم الرافضة فهم أشبه بهم من القذة بالقذة ، وكذلك الجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص مسالك إخوانهم من اليهود.(١)

وأصحاب تحريف الألفاظ شر من أصحاب تحريف المعنى من وجه.

وأصحاب تحريف المعنى شر من أصحاب تحريف اللفظ من وجه.

فأصحاب تحريف اللفظ عدلوا باللفظ والمعنى جميعاً عما هما عليه فأفسدوا اللفظ والمعنى، بينما أصحاب تحريف المعنى أفسدوا المعنى وتركوا اللفظ على حاله فكانوا خيراً من أولئك من هذا الوجه.

فأصحاب تحريف اللفظ لما أرادوا المعنى الباطل حرفوا له لفظاً يصلح له لئلا يتنافر اللفظ والمعنى، بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ المحرف فهم منه

---

(١) الصواعق المرسلة ١/٢١٥ - ٢١٦ .

المعنى المحرف، فإنهم رأوا أن العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه، فبدؤا بتحريف اللفظ ليستقيم لهم حكمهم على المعنى الذى قصدوا.(1)

وأما كون أصحاب تحريف المعنى شر من أصحاب تحريف اللفظ من وجه فلأن تحريف المعنى هو الأكثر استعمالاً عند أصحاب التحريف ولأنه أسهل رواجاً وسوقاً عند الجهلة والعوام من الناس، فيفتتن به من ليس لديه زاد من العلم الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

ب - معنى التعطيل :

التعطيل لغة : مأخوذ من « العطل » : الذى هو الخلو والفراغ والترك ومنه قوله تعالى ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾(2) أى أهملها أهلها وتركوا وردها.(3)

والتعطيل فى جانب الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

---

(1) مختصر الصواعق ٢/١٤٧ ، ١٤٨ .

(2) الآية ٤٥ من سورة الحج .

(3) شرح الواسطية ص٢٠ .

القسم الأول : تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وهو المتمثل فيمن ينكر وجود خالق لهذا الكون، وهو قول الدهرية الملاحدة.

القسم الثانى : تعطيل عبادته عز وجل، أى مايجب له عز وجل على عباده من حقيقة التوحيد وإفراده بالعبادة، وهو المتمثل فى أهل الشرك الذين صرفوا شيئاً من العبادة لغير الله عز وجل.

القسم الثالث : تعطيل الله سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله.[1]

وهذا القسم الثالث هو الذى نقصده هنا.

فالمراد بالتعطيل فى باب الأسماء والصفات هو : نفى الأسماء والصفات أو بعضها وسلبها عن الله .

أو نقول : هو نفى الصفات الإلهية ، وإنكار قيامها بذات الله تعالى.[2]

وقد وقع فى التحريف والتعطيل طوائف ، يجمعهم أهل العلم تحت مسمى «المعطلة».

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص١٥٣ .

(٢) شرح الواسطية ص٢٠ .

وينقسم المعطلة إلى قسمين رئيسيين هما :

القسم الأول : الفلاسفة

وهم صنفان:

الصنف الأول : أهل الفلسفة البحته

الصنف الثانى : أهل الفلسفة الباطنية وهى نوعان:

أ- رافضية. ب - صوفية.

والقسم الثانى من المعطلة هم : أهل الكلام

وهم خمسة أصناف :

١ - الجهمية.

٢ - المعتزلة.

٣ - الكلابية.

٤ - الاشاعرة.

٥ - الماتريدية.

وسأفصل الحديث عنهم بإذن الله في دراسة مستقلة.

ثانيا : معنى قولهم : « من غير تكييف ولا تمثيل »

هذه العبارة فيها تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة.

« فالتكييف» هو: جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيدها بمماثل.[1]

مثال ذلك : قول الهشامية عن الله « طوله كعرضه ».[2]

أو قولهم : « طوله طول سبعة أشبار بشبر نفسه» .

وعلى هذا التعريف يكون هناك فرق بين التكييف والتمثيل .

فالتكييف : ليس فيه تقييد بمماثل.

وأما التمثيل : فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

ولعل الصواب أن التكييف أعم من التمثيل.

فكل تمثيل تكييف لأن من مثل صفات الخالق بصفات المخلوقين فقد كيف تلك الصفة أى جعل لها حقيقة معينة مشاهدة .

وليس كل تكييف تمثيل لأن من التكييف ماليس فيه تمثيل بصفات المخلوقين كقولهم: طوله كعرضه.

---

(١) القواعد المثلى ص٢٧ .

(٢) مقالات الاسلاميين ص٣١ .

ومعنى قول أهل السنة « من غير تكييف » أى من غير كيف يعقله البشر، وليس المراد من قولهم «من غير تكييف» أنهم ينفون الكيف مطلقا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه.[1]

فمن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته عز وجل لأنه تعالى أخبرنا عن الصفات ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمقنا فى أمر الكيفية قفوا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لايمكننا الإحاطة به.

وقد أخذ العلماء من قول الإمام مالك « الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة» قاعدة ساروا عليها فى هذا الباب.

« ولا تمثيل »

المثيل لغة : هو الند والنظير

والتمثيل : هو الاعتقاد فى صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوقين.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ص٢١ .

وهو كقول الممثل له يد كيدى وسمع كسمعى تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

والتمثيل والتشبيه هنا بمعنى واحد. وإن كان هناك فرق بينهما فى أصل اللغة.[1]

فالمماثلة : هى مساواة الشيء لغيره من كل وجه.

والمشابهة : هى مساواة الشيء لغيره فى أكثر الوجوه

ولكن التعبير هنا بنفى « التمثيل» أولى لموافقة لفظ القرآن

فى قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ .[2]

وقوله تعالى ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ .[3]

وقد وقع فى التمثيل والتكييف « المشبهة » الذين بالغوا فى إثبات الصفات إلى درجة تشبيه الخالق بالمخلوق.

وقد وقع فى التمثيل كل من :

١- الكرامية : اتباع محمد بن كرام السجستانى

---

(١) القواعد المثلى ص٢٧ .

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى.

(٣) الآية ٧٤ من سورة النحل.

وهم طوائف يبلغ عددهم اثنتى عشرة فرقة وأصولها سته هى :

١- العابدية ٢- النونيه ٣ - الزرينيه

٤- الاسحاقية ٥- الواحدية ٦- الهيصيمية

٢- الهشامية الرافضة الامامية :

وهم أصحاب : هشام بن الحكم الرافضي

وأحيانا تنسب إلى : هشام بن سالم الجواليقى. وكلاهما من الإمامية المشبهة، والجدير بالذكر أن الرافضة الإمامية كان ينتشر فيهم التشبيه وهذا فى أوائلهم .(١)

وأما الرافضة الامامية فى الوقت الراهن فعلى عقيدة المعتزلة فى مسائل الصفات، وكذلك « الزيدية » من الشيعة.

ثالثا : ‹ كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل ›

فكل واحد من فريق التعطيل وفريق التمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل.

---

(١) شرح الأصفهانية ص٦٥.

١- بيان جمع المعطلة بين التعطيل والتمثيل.

أما تمثيل المعطلة : فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ماهو اللائق بالمخلوق. ثم شرعوا فى نفى تلك المفهومات .

فهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته، بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم

وتعطيل المعطلة : فى نفيهم لما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات اللائقة به سبحانه.

وبذلك جمعوا بين التعطيل والتمثيل : مثلوا أولاً، وعطلوا آخراً.

وامتاز أهل التعطيل عن أهل التمثيل بنفيهم المعانى الصحيحة للصفات.

مثال لجمع المعطلة بين التعطيل والتمثيل.

نصوص الاستواء كقوله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾.[١]

فإن المعطل يقول : لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا، وكل ذلك من المحال ونحو ذلك من الكلام.

---

(١) الآية ٥ من سورة طه .

فهذا المعطل لم يفهم من كون الله على العرش إلا مايثبت لأى جسم كان على أى جسم كان، وهذا االلازم الذى جاء به المعطل تابع لهذا المفهوم.

وكان الواجب عليه أن يثبت لله استواء يليق بجلاله ويختص به، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التى هى من لوازم المخلوقات ويجب نفيها في حق الله.

فأهل التعطيل وقعوا فى أربعة محاذير:

الأول : كونهم مثلوا مافهموه من النصوص بصفات المخلوقين، وظنوا أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثانى : إنهم عطلوا النصوص عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله

الثالث : إنهم بنفى تلك الصفات صاروا معطلين لما يستحقه الرب من صفات الكمال .

الرابع : إنهم وصفوا الرب بنقيض تلك الصفات، من صفات الأموات والجمادات والمعدومات.[1]

(١) الرسالة التدمرية ٧٩ – ٨٠ .

٢ - بيان جمع أهل التمثيل بين التعطيل والتمثيل :[1]

أما تعطيل الممثل فمن وجوه ثلاثة :

أحدها : إنه عطل نفس النص الذي أثبت الصفة حيث صرفه عن مقتضى مايدل عليه، فإن النص دال على إثبات صفة تليق بالله لا على مشابهة الله لخلقه.

الثاني : إنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطله عن كماله الواجب؛ حيث شبه الرب الكامل بالمخلوق الناقص.

الثالث : إنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطل كل نص يدل على نفي مشابهة الله لخلقه مثل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾[2] وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾.[3]

أما تمثيل أهل التمثيل : فإنهم يقولون إن الله عز وجل لا يخاطبنا إلا بما نعقل فاذا كان مستوياً على العرش فهو كاستواء الانسان على السرير إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا. فامتاز هؤلاء الممثلة بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين كما امتاز المعطلة بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي.

---

(١) انظر : الفتوى الحموية ص٦٢ - ٦٣ ط: دار فجر للتراث.

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٣) الآية ٤ من سورة الإخلاص.

والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شئ عليم، وعلى كل شئ قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها.

(فقد هدى الله أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلى فأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهباً بين مذهبين وهدي بين ضلالتين.

فقالوا: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسولهﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف.

بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات، ونفي مشابهة المخلوقات، فلا نعطل ولا نؤول ولا نمثل ولا نجهل.

ولا نقول : ليس له يدان، ولا وجه، ولا سمع، ولا بصر، ولا حياة ولا قدرة، ولا استوى على عرشه.

ولا نقول : له يدان كأيدي المخلوقين ووجه كوجوههم وسمع وبصر وحياة وقدره واستواء، كأسماعهم وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم.

بل نقول : له ذات حقيقة ليست كذوات المخلوقين.

وله صفات حقيقة ليست كصفات المخلوقين.

وكذلك قولنا : في وجه تبارك وتعالى، ويديه، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستوائه.

ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها، كما لم يمنع ذلك من أثبت لله شيئاً من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها، فإن من أثبت له سبحانه السمع والبصر أثبتهما حقيقة وفهم معناهما، فهكذا سائر الصفات المقدسة، يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها فإن الله سبحانه لم يكلف العباد ذلك، ولا أراده منهم، ولم يجعل لهم إليه سبيلاً.[1]

* * *

(١) الصواعق المرسلة ٢/٤٢٥ – ٤٢٧ .

المبحث الثالث

الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة

في باب الأسماء والصفات

ارتكز معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته على ثلاثة أسس رئيسية هي:[1]

الأساس الأول : الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتاً ونفياً.

الأساس الثاني : تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شئ من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات.

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٢٥ .

وهذه الأسس الثلاثة هي التي تفصل وتميز عقيدة أهل السنة في هذا الباب عن عقيدة أهل التعطيل (من الفلاسفة وأهل الكلام) من جهة.

وعن عقيدة أهل التمثيل (من الكرامية والهشامية وغيرهم) من جهة أخرى.

فالأساس الأول : فيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة، فأهل السنة يجعلون الأصل في اثبات الأسماء والصفات أو نفيها عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولا يتجاوزونها فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه.

(وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء وباب الصفات إطلاقا، وأما في باب الاخبار فمن السلف من يمنع ذلك، ومنهم من يجيزه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده.). [1]

---

(١) رسالة في العقل والروح ٢/٤٦– ٤٧ لابن تيمية.

ومجمل القول أن في الأمر ثلاثة أبواب :

١ - باب الأسماء : وهذا يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٢ - باب الصفات : وهذا كذلك يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٣ - باب الاخبار : وهذا لا يشترط فيه ورود النص الشرعي ولكن يشترط أن يكون معنى اللفظ المستعمل ليس بسيء.

أما أهل التعطيل : فقد جعلوا «العقل» وحده هو أصل علمهم، فالشبه العقلية هي الأصول الكلية الأولية عندهم، وهي التي تثبت وتنفي، ثم يعرضون الكتاب والسنة على تلك الشبه العقلية، فإن وافقتها قبلت اعتضاداً لا اعتماداً، وإن عارضتها ردت تلك النصوص الشرعية وطرحت، وفي هذا يقول قائلهم : (كل ماورد السمع به ينظر فإن كان العقل مجوزاً له وجب التصديق به..

وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ماورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول.

وظواهر أحاديث التشبيه - يعني بها أحاديث الصفات- أكثرها غير

صحيحة، والصحيح منها ليس بقاطع بل هو قابل للتأويل..)[1].

فهذا النقل يبين لك مدى تقديم هؤلاء لشبههم العقلية وتعصبهم لها وكيف أنهم يجعلونها هي الأصول والسمع معروض عليها، فما أجازته عقولهم قبلوه، وما لم تجزه عقولهم شككوا فيه وانتقضوه ومن ثم سعوا في تأويله وتحريفه، ومن يلقي نظرة على كتب الأشاعرة مثلاً يجد أن القوم يقسمون أبواب العقيدة الى إلهيات –ونبوات– وسمعيات، وهم في باب الإلهيات والنبوات لا يقبلون نصوص الكتاب والسنة، ولذلك لن تجد في هذين البابين إلا الشبه العقلية المركبة وفق القواعد المنطقية، وياعجباً أنأخذ ديننا من كلام الله ورسوله، أم من ملاحدة اليونان وتلاميذهم!

وأما باب السمعيات –أي البعث والحشر والجنة والنار والوعد والوعيد– فهم يقبلون فيه النصوص الشرعية، وبالتالي سموا هذا الباب

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص١٣٢– ١٣٣. وقال في كتابه المستصفى ١٣٧/٢– ١٣٨ : (كل مادل العقل فيه على أحد الجانبين فليس للتعارض فيه مجال، إذ الأدلة العقلية يستحيل نسخها وتكاذبها، فإن ورد دليل سمعي على خلاف العقل، فإما أن لا يكون متواتراً فيعلم أنه غير صحيح، وإما أن يكون متواتراً فيكون مؤولاً ولا يكون متعارضاً..).

بالسمعيات. في مقابل باب الالهيات والنبوات إذ أنهم يعتمدون فيهما على العقليات، وهؤلاء شابهوا حال من قال الله تعالى فيهم ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

وأما الأساس الثاني : وهو تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة من جهة، وعن عقيدة المشبهة من جهة أخرى.

فأهل السنة : يعتقدون أن ما اتصف الله به من الصفات لا يماثله فيها أحد من خلقه، فالله عز وجل قد أخبرنا بذلك بنص كتابه العزيز حيث قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[2]. فإذا ورد النص بصفة من صفات الله تعالى في الكتاب أو السنة فيجب الايمان به والاعتقاد الجازم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو مما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فالشر كل الشر في عدم

---

(١) الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .

تعظيم الله وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فعلى القلب المؤمن المصدق بصفات الله التي تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه ﷺ أن يكون معظماً لله جل وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه، لتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للايمان بالصفات على أساس التنزيه أخذاً بقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾)[1].

أما أهل التعطيل : فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته الا ماهو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات التي لا وجود لها إلا في أفهامهم الفاسدة، فعقيدة هؤلاء المعطلة جمعت بين التمثيل والتعطيل وهذا الشر إنما جاء من تنجس قلوبهم وتدنسها بأقذار التشبيه، فإذا سمعوا صفة من صفات الكمال التي أثنى الله بها على نفسه كاستوائه على عرشه ومجيئه يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال، فإن أول ما يخطر في أذهانهم أن هذه الصفة تشبه صفات الخلق، فلتلطخ القلب بأقذار التشبيه لم يُقدر الله حق قدره ولم يعظم الله حق عظمته حيث سبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فيكون أولا نجس القلب بأقذار التشبيه ثم دعاه ذلك إلى أن ينفي صفة الخالق جل وعلا عنه بادعاء أنها

---

(١) انظر : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٢١ – ٢٢ .

تشبه صفات المخلوق، فيكون فيها أولاً مشبهاً، وثانياً معطلاً ضالاً إبتداءً وانتهاءً متهجماً على رب العالمين ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق.[1]

وأما عقيدة أهل التمثيل : فهي تقوم على دعواهم أن الله عز وجل لا يخاطبنا الا بما نعقل فإذا أخبرنا عن اليد فنحن لا نعقل الا هذه اليد الجارحة فشبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين فقالوا له يد كيدي، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأما العارفون به، المصدقون لرسله، المقرون بكماله فهم يثبتون لله جميع صفاته، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، فيجمعون بين الاثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل، فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهدي بين ضلالتين.

وأما الأساس الثالث : ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة، فأهل السنة يفوضون علم كيفية اتصاف البارئ عز وجل بتلك الصفات إلى الله عز وجل، فلا علم للبشر بكيفية ذات الله تبارك وتعالى (ولا تفسير كنه شئ من صفات ربنا تعالى كأن يقال استوى على هيئة

---

(١) انظر : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ١٩- ٢٠ .

كـذا، وكل من تجرأ على شيء من ذلك فـقـوله من الغلو في الدين والافتـراء على الله عز وجل واعـتقاد مـا لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمـته ولم ينطق به كتـاب ولا سنة؛ ولو كان ذلك مطلوباً من العـباد في الشريعـة لبينه الله تعالى ورسوله ﷺ فهو لم يَدَعْ ما بالمسلمين إليـه حاجة إلا بينه ووضحه، والعـباد لا يعلمـون عن الله تعـالى الا مـا علمهم كـمـا قال تعـالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[1] فليؤمن العـبد بما علمـه الله تعالى وليقف معه، وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه).[2]

وأما المشبـهة فقد تعـمقوا في شأن كـيفيات صفـات الله وتقولوا على الله بغير علم فقالوا له بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

---

(١) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٢) انظر : معارج القبول ١/٣٢٦ – ٣٢٧ .

توضيح الأسس الثلاثة

١ - الأساس الأول : الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتاً ونفياً.

وهذا الأساس لابد فيه من مراعاة ما يلي :

أولا : أن طلب العلم في المطالب الالهية إنما يكون عن طريق الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة.

فالذي يجب اعتقاده هو أن معرفة هذا النوع من أنواع التوحيد تتوقف على دراسة الكتاب والسنة لأن هذا التوحيد يتطلب أسماءً وصفات معينة وهذه لا سبيل إلى معرفتها والحصول عليها إلا من طريق الكتاب والسنة (فنحن نؤمن بالله تعالى وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنة رسله من أسمائه الحسنى وصفاته العلى بلا تكييف ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمته فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأبين دليلاً من غيره)[1]، ولذلك كان معتقد أهل السنة هو الإيمان بما

---

(١) معارج القبول ١/٣٣٠ - ٣٣١ .

سمى ووصف الله به نفسه إثباتا ونفياً؛ لأنه لا يسمى اللهَ أعلمُ بالله من الله قال تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[3]، وقال تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[4]، فالله عز وجل هو الذي سمى ووصف نفسه بما جاء في نص كلامه الذي هو القرآن.

ولا يسمي ويصفُ الله بعد الله أعلمُ بالله من رسول الله ﷺ الذي قال الله في حقه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[5]، ولقد جاءت رسالة النبي ﷺ بإثبات الصفات إثباتاً مفصلاً على وجه ثلجت به الصدور واطمأنت به القلوب واستقر الإيمان في نصابه وفصلت ذلك أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررته أكمل تقرير في أبلغ لفظ، ولذلك كان لزاماً على كل مسلم أن يؤمن بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان.

---

(١) الآية ١٤٠ من سورة البقرة .

(٢) الآية ١٢٢ من سورة النساء.

(٣) الآية ١٤ من سورة فاطر .

(٤) الآية ٥٩ من سورة الفرقان .

(٥) الآية ٣ من سورة النجم .

ثانيا : تقديم الشرع على العقل ، فالأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع.

فمعتقد أهل السنة في هذا الباب وفي غيره من أبواب العقائد والأحكام أن العقل المجرد ليس له إثبات شيء من العقائد والأحكام، وإنما المرجع في ذلك إلى القرآن والسنة.

فالعقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجب الوقوف في ذلك على النص، لأن العقل يقصر عن إدراك حقيقة المغيبات حتى وإن كانت تلك المغيبات أقرب شيء إليه، فهو قاصر عن أن يحيط علماً بحقيقة روحه التي بين جنبيه لما أخفى الله أمرها عنه، قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]. فإذا كان الانسان يجهل أمر روحه فكيف يحيط علماً بذات الله وما يصلح وما لا يصلح لذاته من الأسماء والصفات والله قد أخفى عن الخلق كيفية ذاته.

(ونحن إذا تدبرنا عامة ماجاء في أمر الدين من ذكر صفات الله ، وما

---

(١) الآية ٨٥ من سورة الاسراء .

تعبد الناس باعتقاده من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض ، والميزان، والصراط، وصفة الجنة وصفة النار، وجدناها أموراً لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والايمان بها، فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فلله الحمد في ذلك والشكر ومنه التوفيق، وما لم يمكننا إدراكه ولم تبلغه عقولنا آمنا به، وصدقناه، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[1] .)[2].

(واعلم أن فصل ما بيننا وبين المعطلة هو «مسألة العقل» فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول.

وأما أهل السنة فقالوا الأصل في الدين الاتباع، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ماشاء).[3]

فالتقرير بأن النقل مقدم على العقل لا ينبغي أن يفهم منه أن أهل السنة

---

(١) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .
(٢) الحجة في بيان المحجة ١/٣٢١ «بتصرف».
(٣) المصدر السابق ١/٣٢٠ .

ينكرون العقل والتوصل به إلى المعارف والتفكير به في خلق السموات والأرض وفي الآيات الكونية الكثيرة، فأهل السنة لا ينكرون استعمال العقل، ولكنهم توسطوا في شأن «العقل» بين طائفتين ضلتا في هذا الباب هما :

أهل الكلام : الذين يجعلون العقل وحده أصل علمهم ، ويفردونه، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له؛ والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية، المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن.

فهؤلاء جعلوا عقولهم هي التي تثبت وتنفي والسمع معروض عليها، فإن وافقها قُبِلَ اعتضاداً لا اعتماداً، وإن عارضها رُدَّ وطُرِح، وهذا من أعظم أسباب الضلال التي دخلت على هذه الأمة.

وأهل التصوف : الذين يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العالية، والمقامات الرفيعة، لا تحصل الا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب صريح العقل.

ويمدحون السكر والجنون والوله، وأموراً من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز ، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها.

وكلا الطرفين مذموم .

وأما أهل السنة : فيرون أن العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك.

فالعقل غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين.

فإن اتصل به نور الايمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس أوالنار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها.

وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه.[1]

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣٣٨ - ٣٣٩ «بتصرف» .

فائدة : «مسكن العقل» :

سُئل شيخ الاسلام ابن تيمية : أين مسكن العقل في الانسان ؟

فأجاب بقوله : (العقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه. قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾[1].

وقيل لابن عباس بماذا نلت العلم؟

قال : (بلسان سؤول وقلب عقول). لكن لفظ القلب قد يراد بـــه:

١ - المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن؛ التي جوفها علقة سوداء كما في الصحيحين عن النبيﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». متفق عليه.[2]

٢ - وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً فإن قلب الشيء باطنه كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك ومنه سمى القليب قليباً لأنه

---

(١) الآية ٤٦ من سورة الحج .

(٢) اخرجه البخاري في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (١/١٢٦ح٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٥/٥٠-٥١.

أخرج قلبه وهو باطنه، وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هـذا فالعقل متعلق بدماغـه أيضاً، ولهذا قـيل: إن العقل في الدماغ كمـا يقوله كثير من الأطباء، ونقل ذلك عن الإمـام أحمد ويقال طائفـة من أصحابه : (أن أصل العقل في القلب فإذا كمل انتهى إلى الدماغ).

والتحقيـــق : أن الروح التي هي النفس لهـا تعلق بـهـذا وهذا، ومـا يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا لكن :

مبدأ الفكر والنظر في الدماغ.

ومبدأ الارادة في القلب.

والعقل يراد به العلم، ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الارادة وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد فلابد أن يكون القلب متـصوراً فـيكون منه هذا وهذا، ويبـتـدئ ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة إلى الدماغ، فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء.

وكلا القولين له وجه صحيح).[1]

---

(١) رسالة في العقل والروح ج٢ /٤٨ – ٤٩ (مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية) .

ثالثاً : الإيمان بما دلت عليه نصوص الأسماء والصفات من المعاني والأحكام.

فالسلف يؤمنون بأسماء الله وصفاته وبما دلت عليه من المعاني والأحكام، أما كيفيتها فيفوضون علمها الى الله.

وهم برآء مما اتهمهم به المعطلة الذين زعموا أن السلف يؤمنون بألفاظ نصوص الأسماء والصفات ويفوضون معانيها.

وهذا الزعم جهل على السلف، فإنهم كانوا أعظم الناس فهماً وتدبراً لآيات الكتاب وأحاديث النبي ﷺ، خاصة فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى، فكانوا يدرون معاني ما يقرأون ويحملون من العلم ولكنهم لم يكونوا يتكلفون الفهم للغيب المحجوب، فلم يكونوا يخوضون في كيفيات الصفات شأن أهل الكلام والبدع، فإنهم حين خاضوا في ذات الله وصفاته وقعوا في التأويل والتعطيل، وإنما ألجأهم إلى ذلك الضيق الذي دخل عليهم بسبب التشبيه، فأرادوا الفرار منه فوقعوا في التعطيل، ولم يقع تعطيل إلا بتشبيه ولو أنهم نزهوا الله تعالى إبتداءً عن مشابهة الخلق، وأثبتوا الصفة مع نفي المماثلة لسلموا ونجوا، ولوافقوا اعتقاد السلف، ولبان لهم أن السلف لم يكونوا حملة أسفار لا يدرون مافيها.

ومن تدبر كلام أئمة السلف المشاهير في هذا الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظراً، وأعلم الناس في هذا الباب. وأن الذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة ولذلك صار أولئك الذين خالفوا مختلفين في الكتاب مخالفين للكتاب. وقد قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾(1)

ومن له إطلاع على أقوال السلف المدونة في كتب العقيدة والتفسير والحديث عند الحديث عن نصوص الصفات يعلم أن السلف تكلموا في معاني الصفات وبينوها ولم يسكتوا عنها وهذه الأقوال هي أكبر شاهد على فهم السلف لمعاني الصفات وإيمانهم بها.

رابعاً : رفض التحريف والتعطيل لنصوص الأسماء والصفات.

فالسلف يعتقدون أن الواجب في نصوص القرآن والسنة بما في ذلك نصوص الأسماء والصفات هو إجراؤها على ظاهرها وذلك بأن تفهم وفق ما يقتضيه اللسان العربي، وأن لا يتعرض لها بتحريف أو تعطيل كما فعل المعطلة، الذين تلاعبوا بظواهر النصوص لمجرد أنها خالفت باطلهم ومناهجهم الفاسدة.

---

(1) الآية ١٧٦ من سورة البقرة .

(2) درء تعارض العقل والنقل ٢/٣٠١ .

فنصوص الصفات ألفاظ شرعية يجب أن تحفظ لها حرمتها وذلك بأن نفهمها وفق مراد الشارع، فلا نتلاعب بمعانيها لنصرفها عن مراد الشارع.

فمن الأصول الكلية عند السلف أن الألفاظ الشرعية لها حرمتها، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد الله ورسوله بها ليثبت ما أثبته الله ورسوله من المعاني وينفي ما نفاه الله ورسوله من المعاني.[1]

وبحمد الله وفضله نجد أن نصوص الصفات الواردة في القرآن والسنة هي من الوضوح والكثرة بمكان، بحيث يستحيل تأويلها والتلاعب بنصوصها، فلقد جاءت رسالة النبي ﷺ بإثبات الصفات إثباتاً مفصلاً على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء وحصل به العلم اليقيني، ورفع الشك والريب، فثلجت به الصدور واطمأنت به القلوب، واستقر الايمان في نصابه، فلقد فصلت رسالة نبينا محمد ﷺ الأسماء والصفات والأفعال أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررت إثباتها أكمل تقرير في أبلغ لفظ.

فالمطلع على نصوص القرآن والسنة الخبير بهما، لا يزيده تحريف المعطلة لتلك النصوص إلا إحتقاراً لهم، ويقيناً بفساد معتقدهم وبطلانه.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/١١٣– ١١٤ بتصرف .

ولا تروج تحريفات المعطلة إلا على الجاهـل بمعرفة تلك النصوص قليل البضاعة فـيها، فهذا الصنف أُتي من جهـة جهله لا من قلة النصوص الواردة في هذا الباب والله أعلم.



وأما الأساس الثاني وهو : تنزيه الله جل وعلا أن يماثل شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين.

فتوضيحه يكون وفق مايلي:

أولا : الأدلة الشرعية الواردة في تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين:

١ - قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾.[١]

٢ - وقال تعالى : ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾.[٢]

٣ - وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.[٣]

٤ - وقال تعالى : ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.[٤]

٥ - وقال تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[٥].

٦ - وقال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.[٦]

---

(١) الآية ١١ من سورة الشورى.
(٢) الآية ٧٤ من سورة النحل.
(٣) الآية ٦٠ من سورة النحل.
(٤) الآية ٢٧ من سورة الروم.
(٥) الآية ٦٥ من سورة مريم.
(٦) الآية ١ من سورة الاخلاص.

٧ – وقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[١].

وجه دلالة الآيات:

١ – قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: دليل على أن الله منزه عن أن يكون له مثل في شيء مما يوصف به من صفات كماله[٢].

والآية في تفسيرها وجهان:

الأول: أن يكون معناها: ليس هو كشيء، وأدخل «المثل» في الكلام توكيداً للكلام.

والثاني: أن يكون معناها: ليس مثله شيء؛ فتكون «الكاف» هي المدخلة في الكلام توكيدا [٣] وهذا وجه قوي حسن وهو الأظهر.[٤].

---

(١) الآية ٤ من سورة الاخلاص.

(٢) مجموع الفتاوى ٩٨/١٦.

(٣) تفسير الطبرى ١٢/٢٥–١٣.

(٤) شرح الطحاوية ص١٤٦.

وقد اتفق أهل السنة على أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله[1].

٢ - وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ :

قال ابن جرير الطبري في تفسيرها : (فلا تمثلو لله الأمثال، ولا تشهبوا له الأشباه، فإنه لا مثل له ولا شبه)[2].

وقال ابن كثير : (أي لا تجعلوا له أنداداً وأشباهاً وأمثالاً)[3].

٣ - وقوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾.

٤ - وقوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(فالله تعالى وصف نفسه بأن له المثل الأعلى وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان بها أكمل وأعلى من غيره.

---

(١) شرح الطحاوية ص٩٩.

(٢) تفسير الطبرى ١٤٨/١٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٧٨/٢.

ولما كانت صفات الرب سبحانه وتعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى وكان أحق به من كل ما سواه ، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان، لأنهما إن تكافآ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافأ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير، وهذا برهان قاطع على استحالة التمثيل والتشبيه فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة).[1]

٥- وقوله تعالى ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ : روي عن ابن عباس في تفسيرها قوله: هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً.[2]

وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغيرهم.[3].

٦- وأما قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ : فالأحد يقتضي أنه لا مثل له ولا نظير.

---

(١) الصواعق المنزلة ١٠٣٢/٣، وشرح الطحاوية ص١٤٤.
(٢) تفسير الطبري ١٠٦/١٦.
(٣) تفسير الطبري ١٠٦/١٦، وتفسير ابن كثير ١٣١/٣.

٧ - وكـذا قـوله : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ فالوحدانية تقتضي الكمال، والشركة تقتضي النقص[1].

ثانيا : دلالة العقل على بطلان تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين:

١ - القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات[2].

فقد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر من صفات المخلوقين المتباينة في الذوات فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكهما في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/٩٩.

(٢) الرسالة التدمرية ص٤٣.

أجلى وأقوى.[1]

وبهذا نعلم أن اللـه لا مثل له ، ولا تضرب له الأمـثال التي فيـها مماثلة لخلقه، بل له المثل الأعلى.

٢ - أن يقال كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفـاته للمـخلوق المربوب الناقص المفـتـقر إلى من يكمله، وهل اعتقـاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيـه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً.[2]

٣ - (إذا كـان المخلوق منزهاً عن ممـاثلة المخلوق مع المـوافـقـة في الاسم، فـالخـالق أولى أن ينزه عن ممـاثلة المخلوق وإن حـصلت مـوافـقـة في الاسم).[3]

(فـإن الله سبـحانه وتعـالى أخـبرنا عـمـا في الجنة من المخلوقـات، من أصناف المطاعم والمشارب والمـلابس والمناكح والمساكن، فأخـبرنا أن فيـها لبناً وعسـلاً وخمـراً وماءً ولحمـاً وفاكهـة وحريراً وذهباً وفـضة وحوراً وقصوراً.

---

(١) ،(٢) القواعد المثلى ص٢٦.

(٣) الرسالة التدمرية ص٥٠.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : (ليس في الدنيا شئ مما في الجنة إلا الأسماء).

فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها، هي موافقة في الأسماء للحقائق الموجودة في الدنيا، وليست مماثلة لها بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى؛ فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق، ومباينته لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا، إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق، وهذا بين واضح.[1]

ثالثا : الاتفاق في الاسم لا يلزم منه تماثل المسمى :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية (الله سبحانه وتعالى سمى نفسه وصفاته بأسماء وسمى بها بعض المخلوقات.

فسمى نفسه حياً عليماً سميعاً بصيراً عزيزاً جباراً متكبراً ملكاً رؤوفاً رحيماً.

(١) المصدر السابق ص٤٧.

وسمى بعض عباده عليماً ، وبعضهم حليماً، وبعضهم رؤوفاً رحيماً، وبعضهم سميعاً بصيراً؛ وبعضهم ملكاً، وبعضهم عزيزاً، وبعضهم جباراً متكبراً.

ومعلوم أنه ليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم، ولا السميع كالسميع، وهكذا في سائر أسماء الله.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1].

وقال: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾[2].

وقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[3]. وقال: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾[4].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[5].

وقال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[6].

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الانسان.

(٢) الآية ٢٨ من سورة الذاريات.

(٣) الآية ٤٤ من سورة الاسراء.

(٤) الآية ١٠١ من سورة الصافات.

(٥) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

(٦) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[2].

وكذلك سائر ماذكر، لكن الإنسان يعتبر بما عرفه على مالم يعرفه ولولا ذلك لانسدت عليه طرق المعارف للأمور الغائبة، فإن الإنسان يعلم أنه حي عليم قدير سميع بصير متكلم فيتوصل بذلك إلى أن يفهم ما أخبر الله به عن نفسه من أنه حي عليم قدير سميع بصير، فإنه لولا تصوره لهذه المعاني من نفسه ونظره إليها لم يمكن أن يفهم ما غاب عنه، كما أنه لولا تصوره لما في الدنيا من العسل واللبن والماء والخمر والحرير والذهب والفضة لما أمكنه أن يتصور ما أخبر به من ذلك من الغيب، لكن لا يلزم أن يكون الغيب مثل الشهادة، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء)، فإن هذه الحقائق التي أخبر بها أنها في الجنة ليست مماثلة لهذه الموجودات في الدنيا بحيث يجوز على هذه ما يجوز على تلك، ويجب لها ما يجب لها، ويمتنع ما يمتنع عليها، ويكون مادتها مادتها ويستحيل استحالتها فإنا نعلم أن ماء الجنة لا يفسد ولا يأسن، ولبنها

---

(١) الآية ٥٨ من سورة النساء.

(٢) الآية ٢ من سورة الانسان.

لا يتغير طعمه، وخمرها لا يصدع شاربها ولا ينزف عقله فإن ماءها ليس نابعاً من تراب ولا نازلاً من سحاب مثل مافي الدنيا ولبنها ليس مخلوقاً من أنعام كما في الدنيا وأمثال ذلك.

فإذا كان المخلوق يوافق ذلك المخلوق في الاسم وبينهما قدر مشترك وتشابه فعلم به معنى ما خوطبنا به مع أن الحقيقة ليست مثل الحقيقة.

فالخالق جل جلاله أبعد عن مماثلة مخلوقاته مما في الجنة لما في الدنيا، فإذا وصف نفسه بأنه حي عليم سميع بصير قدير لم يلزم أن يكون مماثلاً لخلقه، إذ كان بعدها عن مماثلة خلقه أعظم من بعد مماثلة كل مخلوق لكل مخلوق؛ وكل واحد من صغار الحيوان له حياة وقوة وعمل وليست مماثلة للملائكة المخلوقين فكيف يماثل رب العالمين شيئاً من المخلوقين). (١)

---

(١) رسالة في العقل والروح لابن تيمية ٢/٤٢-٤٣ (مطبوعة ضمن المجموعة المنيرية) (بتصرف).

رابعا : تو ضيح المسألة من جهة اللغة ثم الشرع:

يُشكل على البعض كون الله سمى نفسه بصفات وسمى عباده بنظير ذلك، فيتردد عند ذلك هل يثبت تلك الصفات لله حقيقة أم لا.

فمن أجل توضيح هذه المسألة أقول: اعلم وفقك الله أن الألفاظ منها:

١ – ماهو مترادف: هو ما اختلف لفظه واتحد معناه.

مثال ذلك : الليث – الأسد – أسامة – الغضنفر

هذه ألفاظ مختلفة والمسمى بها واحد فتسمى الألفاظ المترادفة.

٢ – ما هو مشترك : وهو ما اتحد لفظه واختلف معناه.

مثال ذلك : لفظ : «العين» :

فهي تطلق على العين الباصرة – والعين الجارية – والجاسوس – والحسد.

فاللفظ واحد والمعاني مختلفة. وهذه تسمى الألفاظ المشتركة.

٣ – ما هو متباين : وهو ما اختلف لفظه ومعناه :

مثال ذلك : السماء والأرض – والجنة والنار.

فلكل لفظ من هذه الألفاظ معنى يختلف عن الأخر فهذه تسمى الألفاظ المتباينة.

٤ – ماهو متواطئ : وهو ما اتفق لفظه ومعناه. وهو نوعان:

الأول : التواطؤ المطلق : وذلك إذا كان المعنى متساوياً في الجميع .

مثاله : لفظ «الرجل» يقال زيد رجل وعمر رجل ، فالمعنى متساوٍ في الجميع.

الثاني : التواطؤ المشكك : وذلك إذا كان المعنى متفاوتاً متفاضلاً ، وسمى بالمشكك لتشكك السامع هل هذا اللفظ من قبيل المتواطئ أم من المشترك.

مثاله : لفظ «النور» فيقال نور الشمس ونور السراج. فالمعنى في الاثنين واحد ولكن هناك تفاوت وتفاضل فشتان بين نور الشمس ونور السرج.[1]

فالأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد هي من الألفاظ المتواطئة التواطء المشكك فالحق فيها هو أن يقال إنه بالنسبة للأسماء والصفات التي

---

(١) التحفة المهدية ٢٠٩ بتصرف.

تطلق على الله وعلى العباد كالحي، والسميع، والبصير، والعليم، والقدير، والحياة، والسمع، والبصر، والعلم ونحوها هي حقيقة في الرب وحقيقة في العبد.

ولكن للرب تعالى منها ما يليق بجلاله.

وللعبد منها مايليق به.

وذلك لأن الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاث اعتبارات :

الاعتبار الأول : اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تبارك وتعالى أو العبد.

الاعتبار الثاني : اعتباره مضافاً إلى الرب مختصاً به.

الإعتبار الثالث : إعتباره مضافاً الى العبد مقيداً به.

فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتاً للرب والعبد؛ وللرب منه ما يليق بكماله، وللعبد منه مايليق به.

وهذا كاسم السميع الذي يلزمه إدراك المسموعات.

والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات.

والعليم والقدير وسائر الأسماء.

فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها فما لزم هذه الأسماء لذاتها فإثباته للرب تعالى لا محذور فيه بوجه بل يثبت له على وجه لا يماثله فيه خلقه ولا يشابههم.

فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد في أسمائه وجحد صفات كماله. ومن أثبته على وجه لا يماثل فيه خلقه بل كما يليق بجلاله وعظمته فقد برئ من فرث التشبيه ودم التعطيل وهذا طريق أهل السنة.

وما لزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله كما يلزم حياة العبد من النوم والسنة والحاجة إلى الغذاء ونحو ذلك، وكذلك مايلزم ارادته من حركة نفسه في جلب ما ينتفع به ودفع ما يتضرر به. وكذلك ما يلزم علوه من احتياجه إلى ما هو عالٍ عليه وكونه محمولاً به. مفتقراً إليه محاطاً به. كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى.

وما لزم الصفة من جهة اختصاصه تعالى بها فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه؛ كعلمه الذي يلزمه القدم والوجوب والإحاطة بكل معلوم. وقدرته وإرادته وسائر صفاته فإن ما يختص به منها لا يمكن إثباته للمخلوق.

فإذا أحطت بهذه القاعدة خبراً وعقلتها كما ينبغي خلصت من

الآفتين اللتين هما أصل بلاء المتلكمين :

١ - أفة التعطيل   ٢ - وأفة التشبيه .

فإنك إذا وفيت هذا المقام حقه من التصور أثبت لله الأسماء الحسنى والصفات العلى حقيقة فخلصت من التعطيل، ونفيت عنها خصائص المخلوقين ومشابهتهم فخلصت من التشبيه فتدبر هذا الموضع واجعله جنتك التي ترجع إليها في هذا الباب والله الموافق للصواب).[1]

ومن كلام شيخ الإسلام في هذا الموضوع قوله : (سمى الله نفسه بأسماء وسمّى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصه به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره).

وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصه بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت من الإضافة والتخصيص.

ولم يلزم من اتفاق الإسمين وتماثل مسماهما واتحاده - عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص- اتفاقهما ، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص فضلاً عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة

(١) بدائع الفوائد ١/١٦٤،١٦٦.

والتخصيص.

فقد سمى الله نفسه حياً فقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾.[1]

وسمى بعض عباده حياً فقال: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾.[2]

وليس هذا الحي مثل هذا الحي.

لأن قوله «الحي» اسم الله مختص به.

وقوله: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به.

وإنما يتفقان إذا أُطلقا وجردا عن التخصيص؛ ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدراً مشتركاً بين المسميين.

وعند الاختصاص: يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق؛ والمخلوق عن الخالق.

---

(١) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٩ من سورة الروم.

ولابد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته.

يفهم منها مادل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق.

وما دل عليه بالإضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى.

وكذلك سمى الله نفسه : ﴿ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ وسمى بعض عباده حليماً ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ﴾، يعني اسماعيل. وسمى آخر عليماً فقال: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ يعني إسحاق وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم.

وسمى نفسه سميعاً بصيراً ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ وسمى بعض عباده سميعاً بصيراً فقال ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير.....)

(وكذلك سمّى صفاته بأسماء، وسمى صفات عباده بنظير ذلك فقال ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[1] ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[2]

---

(١) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٦٦ من سورة النساء.

وقـــال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[1] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾[2] وسمى صفة المخلوق علماً وقوة ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3] ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[4] وقـــال ﴿ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[5] وقال ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾[6] وقال ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾[7] وليس العلم كالعلم ولا القوة كالقوة.

... ووصف نفسه بأنه استوى على عرشه، فذكر ذلك فى سبعة مواضع من كتابه انه استوى على العرش.

ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره فى مثل قوله ﴿ لتستوا على ظهوره﴾[8] وقوله ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾[1]

---

(١) الآية ٥٨ من سورة الذاريات.

(٢) الآية ١٥ من سورة فصلت.

(٣) الآية ٨٥ من سورة الاسراء.

(٤) الآية ٧٦ من سورة يوسف.

(٥) الآية ٨٣ من سورة غافر.

(٦) الآية ٥٤ من سورة الروم.

(٧) الآية ٥٢ من سورة هود.

(٨) الآية ١٣ من سورة هود.

وقـوله ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾[2] وليـس الاسـتواء كالاستواء.

ووصف نفسه ببسـط اليدين فقال ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾.[3]

ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[4] وليس اليد كاليد ولا البسط كالبسط، وإذا كان المراد بالبسط الإعطاء والجود فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه، ولا جوده كجودهم ونظائر هذا كثيرة.

فلا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي مماثلته بخلقه.

فمن قال ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى ولا استوى: كان معطّلاً جاحداً ممثلاً له بالمعدومات والجمادات.

---

(١) الآية ٢٨ من سورة المؤمنون.
(٢) الآية ٤٤ من سورة هود.
(٣) الآية ٦٤ من سورة المائدة.
(٤) الآية ٢٩ من سورة الاسراء.

ومن قال: له علم كعلمى أو قوة كقوتى، أو حب كحبى، أو رضاء كرضائى، أو يدان كيداى، أو استواء كاستوائى كان مشبهاً ممثلاً لله بالحيوانات، بل لا بد من إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.)[1]

خامساً: فصل ما بين معتقد أهل السنة فى هذا الأساس ومعتقد أهل التعطيل وأهل التمثيل

قال شارح الطحاوية (اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شي لا فى ذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله.

ولكن لفظ «التشبيه» قد صار فى كلام الناس لفظاً مجملاً يراد به:

١- المعنى الصحيح: من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات فى شيء من صفاته وهذا ما دل عليه القرآن قال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ فهذا رد على الممثلة المشبهة.

فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوقين فهو المشبه المبطل المذموم ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير

---

(١) الرسالة التدمرية ص٨-١٢- بتصرف.

النصارى فى كفرهم.

٢- المعنى المردود: أن يراد به أنه لا يثبت لله شيء من الصفات فلا يقال له قدرة، ولا علم، ولا حياة، لأن العبد موصوف بهذه الصفات ولازم هذا القول أنه لا يقال له حي -عليم- قدير لأن العبد يسمى بهذه الأسماء، وكذلك كلامه وسمعه وبصره وإرادته وغير ذلك[1] وأصل الخطأ والغلط توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتاً فى هذا المعين وهذا المعين وليس كذلك، فإن ما يوجد فى الخارج لا يوجد مطلقاً كلياً، بل لا يوجد الا معيناً مختصاً.

وهذه الأسماء إذا سمّي اللهُ بها كان مسماها معيناً مختصاً به.

فإذا سمى بها العبد كان مسماها مختصاً به.

فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق؟.

وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى فزادوا فيه على الحق، فضلّوا.

---

(١) شرح الطحاوية ص٩٩ (بتصرف).

وأن المعطلة أخذوا نفى المماثلة بوجـه من الوجوه وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا.

وإن كتـاب الله دلّ على الحق المحض الـذى تعـقله العـقـول السليـمـة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذى لا انحراف فيه(١).



(١) شرح الطحاوية ص١٠٤ (بتصرف).

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بصفاته:

وتوضيح هذا الأساس يتم بما يلي:

أولاً: إن الله لم يطلع الخلق على ذاته ولم يكلفهم معرفة ذاته

لم يشأ الله عز وجل أن يجعل للعباد من سبيل إلى معرفة كيفية وكنه صفاته، فقد سد سبحانه الطرق الموصلة إلى ذلك، فهو من جهة لم يطلع الخلق على ذاته فهذا باب موصود إلى قيام الساعة كما جاء في الحديث «تعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»

ومن جهة ثانية لم يخبرنا الله عز وجل بكيفية وكنه صفاته في كتابه أو على لسان رسولهﷺ، فما وردت به النصوص إنما هو إثبات وجود لتلك الصفات لا إثبات كيفية.

ومن جهة ثالثة فإن الله لم يكلف العباد معرفة كيفية صفاته ولم يتعبدهم بذلك ولا أراده منهم، بل قصرهم على الإيمان بما أخبرهم به، فالواجب عليهم أن يؤمنوا الإيمان الصحيح بما كلفوا به وأن لا يتجاوزوا حدود ذلك.

وقد ورد النص في وجوب قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية

صفات الله فإدراك ذلك مستحيل قال تعالى ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾.[1]

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله (إدراك حقيقة الكيفية مستحيل وهذا ما نص عليه في هذه الآية من سورة طه فقوله ﴿يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾ فعل مضارع منفي، والفعل الصناعي الذى يسمى: (بالفعل المضارع، وفعل الأمر والفعل الماضى) ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن، فالمصدر كامن فى مفهومه إجماعاً، فيحيطون فى مفهومها (الإحاطة) فيتسلط النفى على المصدر الكامن فى الفعل فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح، فيصير المعنى: لا إحاطة للعلم البشرى برب السموات والأرض، فينفى جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها، فالاحاطة المسندة للعلم منفية (للمخلق) عن رب العالمين).[2]

ثانياً: قصور العقل عن معرفة كيفية صفات الله

إن على العقل أن ييئس من تعرف كنه الصفات وكيفياتها لعجزه عن معرفة ذلك، لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته الا بعد العلم بكيفية ذاته، أو

(١) الآية ١١٠ من سورة طه.

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٢٤.

العلم بنظيره المساوى له، أو بالخبر الصادق، وكل هذه الطرق منتفية فى كيفية صفات الله فوجب بطلان تكييفها.

وعلم الإنسان محدود كما أخبر الله بذلك حيث قال ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾.[2]

وإذا كانت نفس الإنسان التى هى أقرب الأشياء إليه بل هى هويته، لا يعرف الإنسان كيفيتها ولا يحيط علماً بحقيقتها، فالخالق جل جلاله أولى أن لا يعلم العبد كيفيته ولا يحيط علماً بحقيقته.[3]

وقد أدب الله عباده المؤمنين ووجههم بأن لا يخوضوا فى أمور لا علم لهم بها فقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾.[4]

وقال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

(١) الآية ٨٥ من سورة الاسراء.

(٢) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٣) رسالة فى العقل والروح لابن تيمية ٢/٤٤ (مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية).

(٤) الآية ٣٦ من سورة الاسراء.

وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته عز وجل لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمقنا فى أمر الكيفية قفواً لما ليس لنا به علم وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به، ومخالفة لما نهانا الله وحذرنا منه وحرمه علينا.

فيجب الكف عن التكييف تقديراً بالجنان أو تقريراً باللسان أو تحريراً بالبنان.

لأن أية كيفية تقدرها الأذهان فالله أعظم وأجل من ذلك، ثم هى فى الوقت ذاته ستكون كذباً لأنه لا علم لقائلها بذلك[2]. ولهذا نقل أصحاب المقالات عن بعض المشبهة – (الذين خاضوا فى كيفية صفات الله)– أنه قال فى ربه فى عام واحد خمسة أقاويل[3] وصدق الله إذ قال فى كتابه

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الأعراف.

(٢) القواعد المثلى ص٢٧–٢٨.

(٣) مقالات الاسلاميين ص٣٣.

العزيز ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.[1]

فعلى المسلم أن يحذر من التكييف أو محاولته، فإن من فعل ذلك فقد وقع في مفاوز لا يستطيع الخلاص منها، فالخوض في ذلك هو مما يلقيه الشيطان في القلوب وهو نزغة من نزغاته، فلذلك يجب على المؤمن أن يلجأ الى ربه ويستعيذ به من نزغات الشيطان قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

ثالثا: معنى قول السلف «بلا كيف»:

إن معنى قول السلف «بلا كيف» أي بلا كيف يعقله البشر فليس المراد من قولهم «بلا كيف» هو نفي الكيف مطلقاً، فإن كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد هو نفي العلم بالكيف إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه[3] فهذا مما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى الوصول إليه، فكما أن ذات الله لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها، فكذلك

---

(١) الآية ٨٢ من سورة النساء.

(٢) الآية ٢٠٠ من سورة الأعراف.

(٣) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص٢١.

صفاته سبحانه لا نعلم كيفيتها.

ولهذا لما سُئل الإمام مالك رحمه الله فقيل له ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾(1) كيف استوى.

قال رحمه الله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة؛ ثم قال للسائل: وما أراك الا رجل سوء، وأمر بإخراجه عن مجلسه.

وقد روى عن شيخه ربيعة بن عبدالرحمن قوله «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول»، أي لا تعقله العقول ولا تحيط به.

وهذا يقال فى سائر الصفات، وقد مشى أهل العلم على هذا الميزان واعتبروا ذلك قاعدة من قواعد الصفات.

فقول الإمام مالك الاستواء معلوم: أي معلوم المعنى فى لغة العرب فاستوى هنا عديت بعلى فهى هنا بمعنى علا وارتفع، وهكذا الأمر فى سائر نصوص الصفات فإن معانيها معروفة فى لغة العرب وليست مجهولة.

والكيف مجهول: أي مع إثباتهم لمعنى الاستواء واعتقادهم بأن الله

---

(1) الآية ٥ من سورة طه.

مستو على عرشه ومرتفع عليه، إلا أنهم يكلون علم كيفية ذلك الاستواء الى الله عز وجل لأنه مما إستأثر الله بعلمه.

والايمان به واجب: أي الإيمان باستواء الله على عرشه حقيقة واجب لوروده فى النصوص الشرعية.

والسؤال عنه بدعة: اى السؤال عن كيفية الاستواء لأن السائل قال: كيف استوى.

رابعا: عدم معرفة الكيفية لا يقدح فى الإيمان بالصفات ومعرفة معانيها

إن عدم العلم بكيفية صفات الله لا يقدح فى الإيمان بتلك الصفات ومعرفة معانيها، لأن الكيفية وراء ذلك، فالسلف يثبتون لله ما اثبته لنفسه من صفات الكمال ويفهمون معانى تلك الصفات ويفسرونها فإذا أثبتوا لله السمع والبصر أثبتوهما حقيقية وفهموا معناهما، وهكذا سائر الصفات يجب أن تجرى هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا الى معرفه كنهها وكيفيتها، فإن الله سبحانه لم يكلف العباد ذلك ولا أراده منهم ولم يجعل لهم إليه سبيلاً.

وكثير من المخلوقات لم يجعل الله للعباد سبيلاً إلى معرفه كنهها وكيفيتها فهذه أرواح الخلائق التى هى أدنى إليهم من كل دان قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها، وقد أخبرنا الله عن تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار، فقامت حقائق ذلك فى قلوب أهل الايمان وشاهدته عقولهم ولم يعرفوا كيفيته وكنهه، فلا يشك المسلمون أن فى الجنة أنهاراً من خمر وانهاراً من عسل ولكن لايعرفون كنه ذلك ومادته وكيفيته كما قال ابن عباس «ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء»

فكذا الأسماء والصفات لا يمنع انتفاء نظيرها فى الدنيا من فهم معانيها وحقائقها والإيمان بذلك واعتقاد اتصاف الله بها.(١)

فإيماننا صحيح بحق ما كلفنا به، وإن لم نعرف حقيقة ماهيته وكيفيته. والله أعلم

وهذه الأسس الثلاثة يجب الأخذ بها جميعاً، ولا يجوز الإخلال بشىء منها، فهذا ما كان عليه معتقد السلف من هذه الأمة ومن سار على نهجهم.

وهم بهذا توسطوا فى هذا الباب بين طائفتين ضلتا فى هذا الباب

---

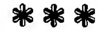
(١) مدارج السالكين ٣/٣٥٨.

هما :

١- المعطلة ٢- المشبهة

فمعتقد السلف هو الإثبات بلا تشبيه والتنزيه بلا تعطيل فهم لا ينفون عن الله ما سمى أو وصف به نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العلى ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا فى أسمائه وآياته كما فعل المعطلة.

كما أنهم لا يشبهون صفات الله بصفات خلقه كما فعل المشبهة.



الخاتمـــة

دين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه، وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين.

فدين الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة، فالمسلمون وسط بين أهل الملل.

فهم وسط في التوحيد بين اليهود والنصارى:

فاليهود تصف الرب تعالى بصفات النقص التي يختص بها المخلوق ويشبهون الخالق بالمخلوق. كما قالوا: إنه بخيل، وإنه فقير وإنه لما خلق السموات والأرض تعب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولُعنوا بما قالوا.

وهو سبحانه الجواد الذي لا يبخل والغني الذي لا يحتاج إلى غيره، والقادر الذي لا يمسه لغوب.

والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها ويشبهون المخلوق بالخالق، حيث قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم وإن الله ثالث ثلاثة.

وقالوا: المسيح ابن الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا الله إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون.

فالمسلمون وحّدوا الله ووصفوه بصفات الكمال، ونزهوه عن جميع صفات النقص، ونزهوه عن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات، فهو موصوف بصفات الكمال لا بصفات النقص وليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وكذلك هم وسط في النبوات.

فاليهود تقتل بعض الأنبياء، وتستكبر عن اتباعهم، وتكذبهم وتتهمهم بالكبائر.

والنصارى يجعلون من ليس بنبي ولا رسول نبياً ورسولاً، كما يقولون في الحواريين: إنهم رسل، بل يطيعون أحبارهم ورهبانهم كما تطاع الانبياء.

فالنصارى تصدق بالباطل واليهود تكذب بالحق..

فاليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون..

وأما الشرائع :

فاليهود منعوا الخالق أن يبعث رسولاً بغير شريعة الرسول الأول، وقالوا: لا يجوز أن ينسخ ما شرعه.

والنصارى: جوزوا لأحبارهم أن يغيروا من الشرائع ما أرسل الله به رسوله.

فاليهود عجّزوا الخالق، ومنعوه ما تقتضيه قدرته في النبوات والشرائع.

والنصارى جوزوا للمخلوق أن يغير ما شرعه الخالق، فضاهوا المخلوق بالخالق.

وكذلك في العبادات:

فاليهود معرضون عن العبادات حتى في يوم السبت الذي أمرهم الله أن يتفرغوا فيه لعبادته، إنما يشتغلون فيه بالشهوات.

والنصارى يعبدونه ببدع ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان.

فاليهود مستكبرون عن عبادته، والنصارى مشركون به.

والمسلمون عبدوا الله وحده بما شرع ، ولم يعبدوه بالبدع.

وهذا هو دين الإسلام الذي بعث الله به جميع النبيين، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره، وهو الحنيفية دين ابراهيم. فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً ومن لم يستسلم له فهو مستكبر.

وكذلك في أمر الحلال والحرام: في الطعام واللباس وما يدخل في ذلك من النجاسات.

فاليهود حُرِّمت عليهم طيبات ما أُحل لهم، فهم يحرمون من الطيبات ما هو منفعة للعباد، ويجتنبون الأمور الطاهرات مع النجاسات، فالمرأة الحائض لا يأكلون معها ولا يجالسونها فهم في آصار وأغلال عُذبوا بها.

والنصارى لا تحرم ما حرمه الله ورسوله، ويستحلون الخبائث المحرمة كالميتة والدم ولحم الخنزير، حتى إنهم يتعبدون بالنجاسات كالبول والغائط ولا يغتسلون من جنابة، ولا يتطهرون للصلاة، وكلما كان الراهب عندهم أبعد عن الطهارة، وأكثر ملابسة للنجاسة. كان معظماً عندهم.[1]

كذلك أهل السنة في الاسلام متوسطون في جميع الأمور، فإن أهل السنة في الاسلام كأهل الاسلام في الملل.

---

(١) منهاج السنة ٥/١٦٨، ١٧٢.

وقد توسط أهل السنة فى كثير من مسائل الاعتقاد منها ما يلى:

١- فى أسماء الله وصفاته: فإن مذهب السلف هو اثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفى الكيفية والتشبيه عنها فتوسطوا بذلك بين المعطلة الذين نفوها فأبطلوا ما أثبته الله ورسوله.

والمشبهة الذين خرجوا بها الى ضرب من التشبيه والتكييف.

٢- في أفعال الله «القدر»: فإن مذهب السلف هو أنهم اثبتوا لله فعلاً ومشيئة واثبتوا للعبد فعلاً ومشيئة داخلة تحت مشيئة الله وقدرته فتوسطوا بذلك بين الجبرية الذين انكروا قدرة العبد ومشيئته والقدرية الذين انكروا قدرة الله فى أفعال العباد.

٣- فى الايمان: فإن مذهب السلف هو أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص فتوسطوا بذلك بين المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان.

والخوارج والمعتزلة الذين أنكروا زيادة الإيمان ونقصانه.

٤- فى وعيد الله «أي مرتكب الكبيرة»: فإن مذهب السلف هو أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته وهو مستحق للوعيد

ولكنه تحت مشيئة الله إن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم يخرجه من النار وإن شاء غفر له وأدخله الجنة.

فهم بذلك توسطوا بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

وبين الوعيدية (الخوارج والمعتزله) فالخوارج يقولون هو كافر في الدنيا والمعتزلة يقولون هو فى منزلة بين منزلتين ويتفقون على أنه فى الآخرة خالد مخلد فى النار.

٥- فى أصحاب رسول الله ﷺ : فإن مذهب السلف هو الاعتراف بفضل الصحابة جميعاً رضي الله عنهم وأرضاهم وأنهم أكمل هذه الأمة إيمانا وإسلاماً وعلماً وحكمة، وأنهم عدول بتعديل الله لهم، ولكنهم لم يغلوا فيهم ولم يعتقدوا عصمتهم، بل قاموا بحقوقهم وأحبوهم لعظيم سابقتهم وحسن بلائهم فى نصرة الإسلام وجهادهم مع رسول الله ﷺ فهم بذلك توسطوا بين الرافضة والخوارج.

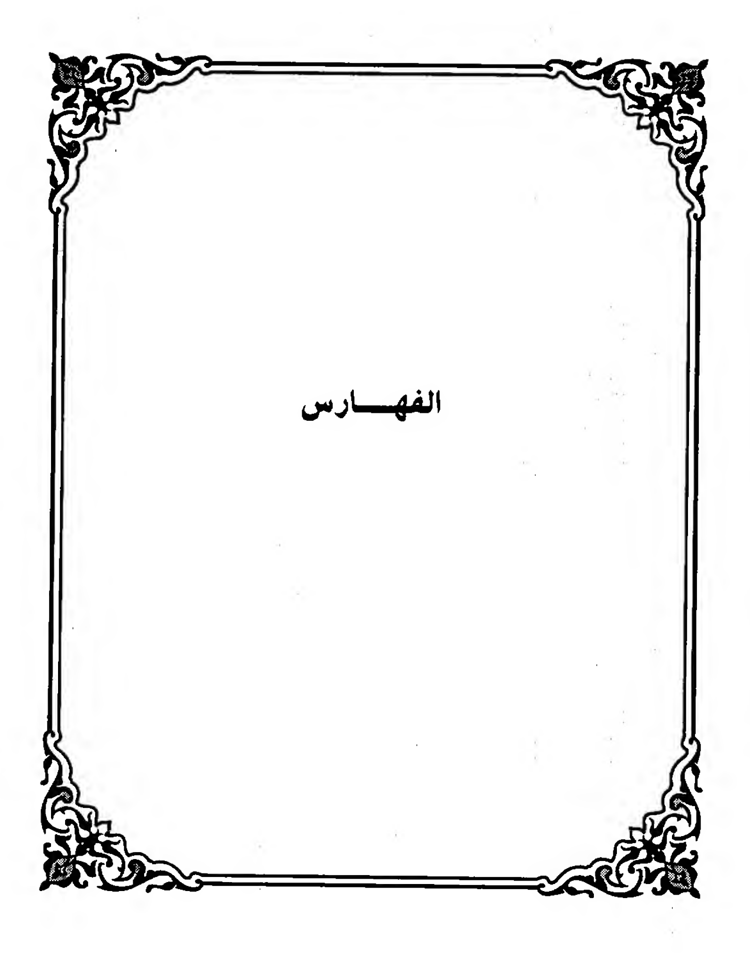
فالرافضة قبحهم الله يسبون الصحابة ويلعنوهم وربما كفروهم أو كفروا بعضهم، والغالية منهم مع سبهم لكثير من الصحابة والخلفاء يغلون فى على رضى الله عنه وأولاده ويعتقدون فيهم الألهية.

والخوارج قابلوا هؤلاء الروافض فكفروا علياً ومعاوية ومن معهما من الصحابة وقاتلوهم واستحلوا دماءهم وأموالهم.

والمقصود أن أهل السنة هم أعرف الناس بالحق، ولذلك فإن كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين آثار رسول الله ﷺ، لا ينفردون عن طائفة أهل السنة الا بقول فاسد، ولا ينفردون بقول صحيح، وكل من كان عن السنة أبعد، كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر.

فالسعيد من لزم السنة. والله الموفق وهو الهادي الى سبيل الرشاد.





الفهـــارس

أولا: فهرس الآيات القرآنية

الآيــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿ فإذا استويت أنت ومن معك ﴾	٢٨	١٢٥
سورة الفرقان		
﴿ وتوكل على الحى الذى لا يموت ﴾	٥٨	٦٨
﴿ فاسئل به خبيرا ﴾	٥٩	٩٦
سورة الروم		
﴿ يخرج الحى من الميت ﴾	١٩	١٢٢
﴿ وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾	٢٧	٣٤-١٠٧-١٠٨
﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ﴾	٥٤	١٢٤
سورة فاطر		
﴿ فاسئل به خبيرا ﴾	١٤	٩٦
﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾	٢٨	١٩
سورة الصافات		
﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾	١٠١	١١٤ - ١٢٣
سورة غافر		
﴿ فرحوا بما عندهم من العلم ﴾	٨٣	١٢٤
سورة فصلت		
﴿ أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾	١٥	١٢٤
سورة الشورى		
﴿ ليس كمثله شيء ﴾	١١	٦٨-٨٠-٨٤-٩١- ٩٢-٧٠٧-١٠٨-٦ ١٢

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية

ثبت المراجع

١ - اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة الجهمية، لابن القيم الجوزيه، الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.

٢ - الاقتصاد في الاعتقاد، لابي حامد الغزالي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٣ - بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزيه، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.

٤ - البدع والنهي عنها، محمد بن وضاح القرطبي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.

٥ - بيان فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب الحنبلي، بتحقيق محمد بن ناصر العجمي، الناشر الدار السلفية.

٦ - تحذير أهل الايمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن، إسماعيل بن إبراهيم الخطيب (ضمن الرسائل المنيرية) الناشر: المكتبة المنيرية.

٧ - التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، فالح بن مهدي ال مهدي، ط: الجامعة الإسلامية.

٨ - تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، محمد بن جرير الطبري، الناشر: مكتبة الحلبي. ط الثالثة.

٩ - تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، الناشر دار المعرفة.

١٠- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، الناشر دار إحياء التراث.

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ط الجامعة الاسلامية.

١٢- التوضيح والبيان لشجرة الايمان، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، الناشر : مكتبة دار الأقصى.

١٣- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر، الناشر دار الكتب العلمية.

١٤- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم الجوزيه، الناشر: دار الكتب العلمية.

١٥- الحجة في بيان المحجة، محمد بن إسماعيل الأصبهاني، بتحقيق الدكتور محمد بن ربيع مدخلي، الناشر: دار الراية.

١٦- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الاسلام ابن تيمية، بتحقيق محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.

١٧- الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام ابن تيمية، بتحقيق محمد السعوي، ط: شركة العبيكان.

١٨- رسالة في العقل والروح لشيخ الأسلام ابن تيمية (ضمن الرسائل المنيرية) ط: المطبعة المنيرية.

١٩- سنن أبي داود ، الناشر دار الحديث.

٢٠- سنن الترمذي ، الناشر دار إحياء التراث.

٢١- سنن الدارمي ، الناشر دار الكتب العلمية.

٢٢- سنن ابن ماجة، بتحقيق محمد مصطفى الأعظمي، ط: شركة الطباعة العربية بالرياض.

٢٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، بتحقيق د. أحمد بن سعد الغامدي، الناشر دار طيبة.

٢٤- شرح العقيدة الطحاوية، الناشر: المكتب الاسلامي.

٢٥- شرح ا لعقيدة الواسطية، لمحمد خليل هراس، ط: مؤسسة مكة للطباعة.

٢٦- شرح العقيدة الواسطية، د. صالح الفوزان، الناشر: مكتبة المعارف بالرياض.

٢٧- الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، الناشر: حديث اكاديمي، بباكستان.

٢٨- صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر، الناشر: دار الفكر.

٢٩- صحيح مسلم، ط : دار المعرفة.

٣٠- الصواعق المرسلة لابن القيم الجوزيه بتحقيق د. علي محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة.

٣١- الصواعق المنزلة ، لابن القيم الجوزيه، بتحقيق د. علي ناصر فقيهي، ود. أحمد بن عطية الغامدي، ط: الجامعة الإسلامية.

٣٢- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣- الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية، ط: المطبعة السلفية، ط: دار فجر التراث.

٣٤- القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسنى، الشيخ محمد ابن صالح بن

عثيمين، الناشر: مكتبة الكوثر.

٣٥- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، الشيخ عبدالعزيز محمد السلمان، ط: مطابع المجد.

٣٦- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد.

٣٧- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم الجوزيه، الناشر: دار الفكر.

٣٨- مدارج السالكين لابن القيم الجوزيه، الناشر دار الفكر.

٣٩- المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، بتحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر دار الخلفاء.

٤٠- المستصفى لأبي حامد الغزالي، الناشر دار المعرفة.

٤١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الناشر دار صادر.

٤٢- معارج القبول، حافظ بن حمد حكمي، الناشر المطبعة السلفية.

٤٣- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، بتحقيق عبدالسلام هارون، الناشر مكتبة مصطفى الحلبي.

٤٤- مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزيه، الناشر دار الكتب العلمية.

٤٥- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الاشعري، الناشر: دار احياء التراث العربي.

٤٦- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لشيخ الاسلام ابن تيمية، ط: جامعة الامام محمد بن سعود.

٤٧- منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات للشيخ محمد الامين الشنقيطي، ط: الجامعة الاسلامية.

٤٨- وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، جمال احمد بادي، الناشر دار الوطن للنشر.

٤٩- وسطية أهل السنة بين الفرق د. محمد باكريم، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بقسم العقيدة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة (مطبوعة على الآلة الكاتبة).



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة